أنور السادات

وصـــيتى

المكتب المصرى الحديث

www.anwarsadat.org

الفصل الأول

لماذا كتبت هذا الكتاب

www.anwarsadat.org

1

الإنسان المصرى فى اعتقادى هو حجر الزاوية الذى ينهض عليه المجتمع كله ، إذ أنه يشكل الوحدة الأساسية الأولى للأسرة التى تشكل بدورها المجتمع الكبير، واعتمادا على هذا المنطق البسيط والخطير، فإنه لا يمكن أن تقوم قائمة حقيقية لمجتمعنا المتحضر المعاصر بدون الإنسان الذى يقع على كتفيه وحده مسئولية البناء والتطور والتقدم .

ويعنى هذا آن بناء المجتمع مرحلة تالية لبناء الإنسان ، والمجتمع الذى يقهر الإنسان هو المجتمع الذى يقضى على نفسه بنفسه . ويشهد التاريخ الإنسانى كله على أن مراحل التحول الخطرة التى عرفتها البشرية كانت نتيجة لأفكار فلاسفة وإنجازات قادة ، وابتكارات مخترعين ، أى أن الإنسان بعقله وروحه وجسده كان المحرك الأساسى لتاريخ الحضارة الإنسانية ولذلك فمن الضرورى أن يكون النظام الاجتماعى ، أى نظام ، فى خدمة الإنسان أساسا، و إذا لم يكن فى خدمته، فمن الحتمى أن يتطور لكى يحقق هذا الهدف الإنسانى .

8 وصيتى

وإذا كان من المفروض أن يخدم الإنسان المجتمع الذى يعيش فيه فإن هذا لا يعنى أن الخدمة من طرف واحد ، وإلا تحولت إلى عبودية مقنعة أو سافرة ، وإنما يجب أن تكون الخدمة متبادلة وعندئذ فقط تقوى روابط الإنسان بوطنه ويتعمق شعوره بانتمائه إليه ، وبدون هذا

الشعور الحيوى بالانتماء يصبح الإنسان بلا هوية حقيقية ، والمجتمع بلا شخصية قومية.

من هنا كان إصرارى على قيمة الإنسان المصرى فى الباب الرابع من " ورقة أكتوبر " التى أكدت فيها :

إن هدفنا الأسمى من هذه الاستراتيجية الحضارية الشاملة، فى هذه المرحلة التى تنطلق فيها روح رمضان " أكتوبر العظيم " إلى مهمة التقدم والبناء ، هى أن نقيم فى بلادنا الدولة العصرية والمجتمع الحديث ، حتى يستطيع شعبنا أن يحقق من خلالهما ذاته، وينمى طاقاته الخلاقة .

ولا يجوز لنا أن نتهيب لحظة واحدة فى هذه الرحلة التى لا مفر منها إلى المستقبل العريض .

وبما أن الإنسان المصرى هو فى النهاية هدف هذا التقدم ، فإنه منذ البداية هو وسيلة هذا التقدم وهو نفسه الضمان الوحيد لهذا التقدم .

الضمان لأن ننطلق إلى هذه الرحلة ، آخذين بأحدث

معطيات العصر فى شتى المجالات ، دون ما خشية من أن نفقد خلال هذه الرحلة هويتنا ، أو أن ننقطع عن أصالتنا ، أو أن ننسى الفضائل التى كان هذا الشعب دائماً يعتز بها ويمجدها . فهذا الشعب كما أقول دائماً يحمل فى أعماقه قيم حضارات عمرها سبعة آلاف سنة ، وبرغم

أن تلك الحضارات كانت تنهض به وتكبو وتنطلق وتنقطع وتتغير وتتجدد ، فإن الشعب كان يعرف فى النهاية دائماً كيف يخرج من هذه الامتحانات كلها محتفظا بخصائصه الأصيلة ، وفطرته الصافية السليمة

إن من يكتفى بقراءة العناوين، يجد أسماء مختلفة لحضارات متعاقبة، ونظم شتى، وحكام جاءوا من أقصى أنحاء الأرض، ولكن من يتعمق وراء ذلك يجد تلك الصفة العجيبة وهى الوحدة الكامنة خلف كل تلك الحضارات المتعاقبة .

لقد مرت علي هذا الشعب قرون بكاملها، كان فيها لا يكاد يملك شيئاً من أرضه ، ولا من رأيه ولكنه بقى مع ذلك محتفظا بشخصيته المتماسكة، وبنسيجه الوطنى المنسجم الذى أفنى فيه غزاته ومستعمريه ومستغليه .

وكانت صفته المميزة على الدوام ، والتى كانت تجعله قادراً على هذا الاستيعاب العجيب لهؤلاء الغزاة والمستغلين ، هى أنه كان دائماً شعبا صانعا للحضارة ، بانيا للعمران . ولم تكن المهارات التى قدمها للدنيا أبدا من مهارات الغزو والتدمير، بل من مهارات البناء والتعمير.

10وصيتى

وليس أدل على هذه الخصائص ذات الجذور العميقة من أن هذا الشعب كان يمر بالأحداث والتغيرات العميقة محتفظا بدرجة نادرة من الوحدة الوطنية والانسجام القومى، مازالت مضرب الأمثال فى العالم .

www.anwarsadat.org

وإن التحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة التى لابد منها فى مراحل معينة من حياة كل أمة حية ، كان يسودها طابع التحول السلمى لا الدموى، وكان الشعب ينجزها ويتجاوزها ثم لا يلبث أن يضم جناحيه بعدها على كل أبنائه .

حتى نظم الاستعمار والغزو التى نجحت فى مناطق أخرى من ان تفرق وتقسم ، لم يكتب لها هذا النجاح فى مصر قط ، بل ظل تكاملها الشعبى والوطنى والجغرافى فوق كل نزاع ، وقد كانت هذه الصفات ذاتها ، هى التى مكنته من أداء دوره التاريخى فى مساندة الأمة العربية التى ينتمى إليها، ورد الغزوات عنها، واحتضان قيمها وتراثها فى ظروف المحن والغزوات والتمزقات .

www.anwarsadat.org

2

وعلى الرغم من أن ثورتنا المصرية فى 23 يوليو 1952 كانت نقطة تحول أساسية فى تاريخ العالم المعاصر.

وعلى الرغم من أنها استطاعت أن تتحدى الاستعمار العالمى العتيد وأن تضع نهاية له بتأميم قناة السويس وانسحاب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل من بور سعيد وسيناء بعد الفشل الذريع الذى أصيبت به كل منها ، إلا أن الثورة نسيت فى غمرة انتصاراتها دور الإنسان المصرى فيها .

وكان هذا هو الباب الذى فتح فيما بعد على مصراعيه لكى تدخل منه كل السلبيات والنكسات التى اعترضت المسيرة الثورية وشوهت صورتها الحضارية فى نظر أبنائها قبل أن تشوها فى نظر الآخرين .

لعل هذا يرجع أساسا إلى غياب النظرية السياسية الاجتماعية المتكاملة التى تسرى فى فكر الأجيال المتعاقبة ووجدانها، وتتحول إلى منهج للفكر والسلوك الذى يجنب المسيرة الدخول فى متاهات جانبية أو طرق مسدودة .

12وصيتى

صحيح أنه كان فى جعبة الضباط الأحرار المبادئ الستة الشهيرة وهى :

1 ــ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة

2 ــ القضاء على الإقطاع .

3 ــ القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.

4 ــ تطبيق العدالة الاجتماعية .

5 ــ إقامة جيش وطنى قوى .

6 ــ إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وقد نجحت الثورة فى تطبيق المبادئ الخمسة الأولى، وإن كانت الفرصة لم تتح للجيش الوطنى القوى لكى يحارب إلا فى حرب أكتوبر المجيدة فى عام 1973.

أما المبدأ السادس الذى ينص على إقامة حياة ديمقراطية سليمة فقد أهملته الثورة تماما، وبالتالى تحول الإنسان المصرى إلى مجرد أداة فى خدمة النظام الثورى مما أدى إلى كل السلبيات والنكسات التى بدأت بانفصال سوريا عن مصر فى 28 سبتمبر سنة 1961، ثم بلغت قمتها فى هزيمة ه يونيو سنة 1967 وحتى رحيل أخى وصديق عمرى جمال عبد الناصر فى 28 سبتمبر 1970.

وعندما توليت المسئولية وجدت أن نقطة الابتداء الوحيدة التى يمكن أن أنطلق منها تكمن فى كلمة واحدة هى الإنسان المصرى فلقد تمزق الإنسان المصرى فى فترة الستينات وكان ذلك نتيجة حتمية لمأساة التطبيق الاشتراكى فى مصر .

لماذا كتبت هذا الكتاب 13

فقد أصبحت الاشتراكية فى ذلك الوقت مرادفا لفرض الحراسات ، ومصادرة الممتلكات ، وفتح المعتقلات ، وغياب القانون .. وأوشكت هذه الموجة الطاغية أن تطمس معالم شخصيتنا الأصيلة مع ضياع

المثل والقيم والتقاليد التى منحت شعبنا الإصـــرار والـــصمود والإرادة الصلبة على مر حقب تاريخه الحضارى الطويل .

فلقد فقد الإنسان المصرى إحساسه الأصيل بالانتماء إلى وطنه لأنـــه أدرك أن هذا الوطن أصبح ملكا لفئة قليلة تجلس علـــى قمـــة الـــسلطة تماما كطبقة الحكام قبل الثورة وتصدر تفسيراتها للتطبيـــق الاشـــتراكى طبقا لمصالحها الشخصية واهوائها الذاتية ، وتحدد بمنتهـــى الحريـــة الحدود الفاصلة فى نظرها بين الشعب وأعداء الشعب دون أية مراجعة أو محاسبة .

وبدأ سيل الهجرة إلى الخارج ، خاصة خيـــرة شـــبابنا مـــن العلمـــاء والخبراء النابغين ، لعلهم يجدون خارج وطنهم ما عجزوا عن إيجـــاده داخله .

وعندما جاء امتحان 5 يونيو 1967 العسير كان من المنطقى جدا أن يسقط النظام ويتداعى لغياب الإنسان المصرى الذى كان من المفروض أن يشكل دعامته الأساسية.. وإذا لم يكن هذا الإنسان غائبا بجسده فقد كان غائبا بعقله وروحه على الأقل .

14وصيى

3

كان على أن أعيد الإنسان المصرى إلى مصر أو أن أعيد مـــصر إلـــى الإنسان المصرى .

www.anwarsadat.org

وعلى الرغم من أن شاغلنا الأول كان الاستعداد لمواجهة عسكرية جديدة مع عدو يحتل الضفة الشرقية مباشرة من قنالنا ويتربص بنا ولا يكف عن تهديدنا فى قلب بلادنا ، إلا أننى وجدت أنه لابد من اتخاذ الموقف الحاسم الذى يلبى هذه الرغبة العميقة لدى الشعب ، واثقا من فطرة جماهيرنا السليمة ، ومن التفاف الشعب حول قيادته خلال معركة المصير .

كان لابد أن يشعر كل مواطن أنه مسئول عن أقدار بلاده بقدر مسئولية سواه ، وأن قضاياه الأساسية تناقش أمامه علانية ، وأنه لا توجد وصاية تمارس عليه فى الخفاء .

لذلك كان لابد أن يزول الخوف .

وأن تختفى بذور الشك .

وأن تتراجع الحزازات والأحقاد .

وأن يحس كل فرد أنه آمن على يومه وغده ، وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله .

www.anwarsadat.org

كان لابد أن يعرف كل مواطن أن الحرب التى هو مقدم عليها لن تحرر له أرضه فقط ، ولكنها سوف تحمل له حياة أكرم وأرحب، وقيما أعلى وأرفع ، كما أنها سوف تحمل له أملا فى أن يتطلع بحق إلى مزيد من الديمقراطية ، لن تتحقق له كاملة إلا فى وطن قوى عزيز متحرر.

لهذا أصدرت قانون إلغاء الحراسات بعد أن توليت المسئولية بشهرين فقط . . ، وفى 15 مايو 1971 أعلنت ثورة التصحيح التى لم تقف عند حد تنحية مراكز القوى عن الطريق، ولكنها انطلقت إلى تحقيق جوهرها الأهم بالعمل على إرساء سيادة القانون فأغلقت المعتقلات لأول مرة فى مصر منذ أربعين عاما وأعززت كلمة القضاء وأقمت دولة المؤسسات ووضعت الضوابط التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح ويمارسها فى طمأنينة ، وذلك عن طريق إقامة دستور دائم .

وعلى الرغم من أن ثورة التصحيح كان لابد أن يقترن بها ما يحدث مع كل خطوة لإزالة السدود والقيود من مناقشات وتيارات وانفعالات ونحن لا نزال فى ظروف الحرب ، إلا أننى كنت واثقا من أن إيجابيات هذا الوضع أكثر من محاذيره، وأن الوحدة العميقة لهذا الشعب خصوصا فى ساعات الخطر سوف تصمد للتجربة بل سوف تزيد هذه التجربة مناعة وقوة .

كل هذه كانت خطوات عملية من أجل إعادة بناء الإنسان المـــصرى الذى أهملناه طويلا مما أدى إلى الفراغ السياسى والفكرى الذى تعـــانى منه بصفة خاصة أجيال الشباب التى ننتظر منها حمل مسئولية الـــوطن فى المستقبل القريب .

إن الشباب اليوم فى حاجة إلى حوار بين الأجيال بدلا من صراع بين الأجيال . حوار تنتقل به التجربة وتنقل به المسئولية إلى أمل لا تصده حواجز.. ولعل أهم ملامح هذا الأمل أن يشعر الإنسان المصرى الجديد أن آماله فى وطنه غير مقيدة .

www.anwarsadat.org

4

واليوم ونحن فى هذا المنعطف من تاريخنا، بعد أن حققنا إرادتنا أمام العالم كله واستعدنا ثقتنا بأنفسنا، وبقواتنا المسلحة التى أصبحت لنا درعا وسيفا، اليوم يأتى دور الجيل الذى يتسلم منا الأمانة، وأقولها بصدق كم نزفت جباهنا مرارة وألما وتمزقا ، فقد عايشنا الاستعمار، والإقطاع والسيطرة الأجنبية الكاملة على اقتصادنا، عايشنا مجتمع الخمسة فى المائة، وقت أن كنا شبابا، ولم يكن ينعم بخيرات هذا البلد إلا هؤلاء الخمسة فى المائة وكنا نحن جميعا من المغتربين ، ولكن عندما قامت ثورة 23 يوليو غيرت هذا الواقع كله .

ولقد شب الشباب ولم يعاصروا كل هذه الأحداث فأصبح كل شىء تحت أيديهم. حقا مكتسبا يطلبون أكثر منه ، وهذا حق لا أعيبه عليهم لأننا لابد أن نتطلع دائماً إلى أعلى ، وإنما أريد أن أقول لهم بهذا الكتاب الذى بين أيديهم : لقد آن الأوان لكى يتحملوا مسئوليتهم ولذلك أكدت فى " ورقة أكتوبر " .

18وصيتى

" ان من حق شبابنا بالذات أن يدرك هذا التقييم الموضوعى للتجربة ليعرف بالدقة ماذا حقق جيلنا ، وماذا كان مقدار جهده ، وما تعرض له العمل الوطنى من نواقص ليتخذ عن اقتناع مكانه الطبيعى فى حركة

العمل الوطنى بدلا من أن تمزقه التيارات التى تحاول أن تنكر التجربة جملة وتفصيلا .

ولكن لن يستطيع الشباب أن ينهض بأعباء العمل الوطنى " الجسيمة إلا إذا تخلص من الفراغ الفكرى والروحى والسياسى الذى يعانى منه نتيجة تعطل الممارسة الفكرية والسياسية على مدى العشرين سنة الماضية. وبهذا وحده يستطيع أن يوائم بين حركة العمل الوطنى وبين الظروف المتغيرة التى نعيشها ويعيشها العالم من حولنا .

إن أسلوب العمل الوطنى يجب أن يتغير بتغير الظروف التى يواجهها فى ظل التمسك بالقيم الأصيلة والمبادئ الجوهرية التى ارتضاها الشعب، مع العلم بأن هذه القيم والمبادئ لا تتعارض إطلاقا مع التغيرات الكثيرة التى شهدها واقعنا المحلى ومنطقتنا العربية والعالم كله .

وإذا كان منهاجنا الأساسى هو حرية الإرادة الوطنية فى اتخاذ القرار وفى صياغة المستقبل. فإن الممارسة الفعالة لهذه الحرية تقتضى حسابا دقيقا لكل ما يحيط بنا من ظروف لنقرر لأنفسنا

www.anwarsadat.org

ما هو خليق بتحقيق أهدافنا فى البناء والتقدم . وفى تقديرى أن نقطة البدء هى هنا فى مصر بكل تراثها وقيمها وتقاليدها الحضارية ، فنحن لم نعد نتلقى سلبيا نتائج متغيرات خارجية، بل فتح أكتوبر العظيم عهدا جديدا من شانه أن يمكن مصر من أن تؤثر فى السياسة العالمية وأن تؤثر بدورها فى حركة التطور بالمنطقة بالتعاون مع اخوتنا فى البلاد العربية .

5

ولعل الفراغ السياسى والفكرى الذى عانت منه أجيال الشباب بعد الثورة كان يرجع إلى أن المحاولات التى بذلت فى هذا المجال لم تكن تهدف إلى أيجاد نظرية متكاملة ، بل كانت تسعى فقط إلى تغطية آثار موقف يخشى أن تمتد فتزعزع نظام الحكم ذاته . هكذا صدر الميثاق عام " 1962 " لكى يغطى آثار الانفصال مع سوريا عام 1961، وأذيع " برنامج 30 مارس " عام 1968 لكى يفرغ الشحنة التى امتلأ بها الشعب وأوشكت على الانفجار.. لذلك لم يخرج " الميثاق " و " برنامج 30 مارس " عن حدود الأساليب الإنشائية الرصينة، والعبارات البراقة ذات الرنين الإنسانى الجميل ، التى لم تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلى كلمة واحدة مما قيل فيهما، مما ضاعف من الفراغ السياسى والفكرى عند شبابنا الذى أصبح نهبا للتيارات المستوردة التى تهدف إلى شد مصر إلى فلك هذا أو ذاك . ونسى كثيرون أن لمصر الفلك الخاص بها

منذ آلاف السنين عندما ترعرعت على ضفاف نيلها العظيم أول حضارة عرفتها البشرية جمعاء .

www.anwarsadat.org

ومع هذه الحضارة ترسخ كثير من القيم الإنسانية، والمثل العليا، والتقاليد الأصيلة التى نقلتها عنها كل الحضارات التى جاءت بعدها. ولكن هذه القيم والمثل والتقاليد توارت فى السنوات الأخيرة بفعل الضغوط الخارجية الرهيبة التى تعرض لها شعبنا من أجل إيمانه العميق بالقضية العربية.. ولكن بعد انتصار أكتوبر المجيد آن الأوان لتأصيل هذه القيم والمثل والتقاليد التى نبعت أساسا من أرضنا الطيبة .

إن هذا الكتاب يهدف أساسا إلى تأصيل هذه القيم الأصيلة حتى تتحول فى أيدى من يعيش وسوف يعيش على هذه الأرض الطيبة إلى أسلحة فكرية يدافع بها عن وطنه ضد أى غزو فكرى، وتمنحه من بعد الرؤية وعمق البصيرة ما يجنبه الميل إلى هذا الاتجاه أو ذاك . فنحن لا نسير إلى يمين أو يسار ولكننا نتقدم إلى الأمام .

لم أقتصر فى كتابى هذا على قراءاتى فى السجن والحياة، بل عبرت به مجال النظرية إلى ميدان التطبيق حيث استعنت كثيرا بخبرتى الشخصية والدروس العملية المستفادة منها .. وغالبا ما تكون التجربة الحية أكثر نبضا وأشد أثرا من القراءات النظرية. فإلى الشعب المصرى أقدم بين صفحات هذا الكتاب عصارة ثقافة وخبرة أربعين عاما منذ تخرجى فى الكلية الحربية عام 1938 حتى الآن.. خبرة كلها معاناة ، وألم ، ويأس وأمل، وحنين، وصراع، وكفاح من أجل تلك المحبوبة التى نعشقها جميعا: مصر .

الفصل الثانى

من اجل مصر

www.anwarsadat.org

1

يظن الكثيرون من الناس أن ثورة يوليو سنة 1952 دبر لهـا تـشكيل الضباط إثر حادث معين جمعهم علـى هـدف وتـدبير. وفـى أجـواء الظنون.. تجد الإشاعات كثيرا من نقط الارتكاز.. تجد النقطة الأولى فى حرب فلسطين لن أشلاء الضحايا وخيانات الملك فاروق وعصابته .

تجد النقطة الثانية فى تحقيقات الأسلحة الفاسدة وتدخل الملـك لـتحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته .

تجد النقطة الثالثة فى تصرفات قيادة الجـيش وكبـار ضـباطه الـذين وضعوا أنفسهم فى أحذية فاروق .
ولقد كانت كل هذه الأحداث فعلا من الأحداث التى شغلت اهتمام الضباط الأحرار، واستحثت خطاهم ولكن نشأة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من هذه الأحداث .

فقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لأنها كانت فى كل مراحلها تفاعلا طبيعيا قويا بـين ضـمير جـيش مـصر، وضمير شعب مصر .

www.anwarsadat.org

26 وصيتى

متى نشأت إذن.. وأين نشأت!!

لنرجع إلى الوراء، إلى عام 1938.. ولنذهب إلى منقباد ، هذه البيئة المصرية الخالصة التى يشعر فيها المصرى بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه .

فى الشتاء حين يقسو الجو، وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الأصدقاء يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها على هواء الرياح .. هناك حول النار فى معسكر المناورات بتبات الشريف ، كنا نقضى طرفا من كل ليلة.. أصدقاء كلهم صغار السن. صغار المناصب، كبار الآمال، ضباط لم تزد رتبة أحدنا عن الملازم ثان، نتحرق طوال النهار فى الجبل، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب التى لم تكن لتنطفئ لأن وقودها كان يتجدد فى كل لحظة من أحاسيسنا الشابة المرهفة، ومما يقع أمام أعيننا كل يوم من الصباح إلى المساء .

كانت آمالنا الكبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الأحداث فقد كنا ضباطا صغارا وكان لنا قواد . . وكان هناك أيضا الإنجليز .. وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم إلا إذلالنا ، والانحناء أمام الإنجليز.. وكنا نرى هذا الوضع الكريه ، فنحترق ونسخط.. ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم.. وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسكرى وفى تلك الأوضاع الرهيبة إلا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدفن النار فى أحشائه .

2

هكذا كانت أيامنا ، لكن لياليا كانت تختلف اختلافا كبيراً.. ففى جو من الصداقة والألفة ، كنا نجلس فنمرح ، ونذيب فى هذا المرح شقاء اليوم الطويل، شقاء الجسد وشقاء النفس، شقاء الغربة فى جبل بعيد. لكن وإن كنا قد أخذنا حياة قوادنا الكبار فى ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فى ساعات المرح فقد جاء اليوم الذى لم تعد فيه السخرية تغنى عن آلامنا شيئاً . . وبدأنا نيأس من خدمة الجيش، وأعد بعضنا استقالته فعلا من الجيش الذى أصبح يشتغل بأى عمل سوى حماية الوطن وطرد المستعمر.

ولعل السبب فى أن هذا البعض لم يصل فى موضوع الاستقالة إلى نهاية المطاف أن الصلات كانت قد اشتدت بين كل منا، وبين المجموعة الكاملة.. حتى أصبح كل منا يفكر بعقلية الكل، وأصبح من حق كل منا أن يتصرف باسم الجماعة وأصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا، لأن كل عمل يأتيه أى فرد منا سينسب إلى الجماعة شاءت أم لم تشأ، علمت بالأمر أم لم تعلم .

28وصيتى

وإنى لأذكر تلك الأيام والليالى، أذكر مرحنا وآلامنا و صداقتنا الجميلة الأولى وقوادنا المصريين الذين أرادوا أن يذلوا رقابنا، كما ذاقو الذل على أيدى صغار الإنجليز.. أذكر كل هذا.. وأذكر أننا فى خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب، بدأنا نفكر ذات ليلة.

تركز تفكيرنا كلنا فى الإنجليز.. أنهم أصل البلاء فى البلاد.. وكانت هذه القضية التى لا يشعر بها شبابنا الآن بحكم عدم معاصرتهم لها- كانت مفتاح تفكير طويل لم يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة . كنا جميعا نكره الإنجليز الذين نظروا إلى الإنسان المصرى على أنه كائن متخلف لا يصح أن يحصل على استقلاله وحريته .

ومن أجل القضاء على هذه الفكرة ومثلها من الأفكار التى حكمت على مصر بالموت بدأنا نجمع حولنا أنصارنا لفكرة الحياة، كل منا يختبر عددا من الضباط الآخرين، ويكون فى محيطه خلية صغيرة يثير فيها هذه الفكرة، ويرى مدى استعدادها للعمل يوم يأتى وقت العمل.. وبدأنا نخطو الخطوة الأولى فنحسب لها حسابا ونلقى الكلمة فنفكر قبل إلقائها مرتين . بدأنا ننزع من أعماقنا زهو الشباب ونحل فيها الشعور بالمسئولية .

وجاء الدرس الأول الذى أفدناه بعد ذلك فأصبح

حياتنا.. فقد مرت أيام قليلة كنا فيها لا نزال فى فترة تكويننا الأولـــى، وإذا بالشىء الذى نسيناه جميعا يقع وكنا خليقين بتوقعه، فان ضـــابط الجيش لا يستقر فى مكان واحد طويلا وإن هى إلا لحظة مفاجئة، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا، واحد فى الإسكندرية والثانى فى طنطا والثالث فى القاهرة، والرابع فى مرسى مطروح...

افترقنا وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت والأعصاب توترت، ولكن الحلم لم يذب والفرقة لم تستطيع أن تكون حاجزا بين هذه المجموعـــة فـــى أقسى الظروف التى حلت بها وفهمنا مع الأيام هذا الـــدرس، وهـــو آن الصداقة القوية عندما تقوم على نقاء وطهر وعندما تتركز أيضا حـــول فكرة فإنها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الأصدقاء، بل هـــى اكثر من ذلك تستطيع وحدها صنع المعجزات، فكنا إذ نفترق لا تفارقنـــا الفكرة ولا عهد الجماعة، كل ما كان هناك أن أحدنا كان يجد الفرصـــة للعمل فيعمل، يعمل مستقلا بإرادته فى ظاهر الأمر ولكنه فـــى حقيقتـــه يكون مقيدا بإرادة الجماعة المتمثلة فـــى فكرتهـــا الكبيـــرة وعهـــدها المقدس.

وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الأوقات كما اختفـــى اســـم جمال عبد الناصر عامين كاملين بين ديسمبر 1939 وديسمبر 1941 إذ كان فى هذه الفترة قد نقل إلى السودان .

وظللت أنا فى نواة التنظيم أبلورها بقدر طاقتى حتـــى طــردت مـــن الجيش وأودعت سجن الأجانب ابتداء من أغــسطس 1942.. بعــدها تراوحت حياتى بين المعتقلات والسجون والتشريد والهروب والمطاردة والاشتغال بالأعمال الحرة إلى أن عدت إلى الجــيش فـــى عـــام 1950 وأنضممت إلى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار فى عام 1951، وكان جمال عبد الناصر قد تولى فى غيابى قيادة التنظيم بكل شعبه وخلايـــاه السرية .

www.anwarsadat.org

3

بدأ التمهيد للثورة مراحله الحاسمة عندما قرر الضباط الأحرار تغيير حالة الجيش الأليمة غير المشجعة... فلم يكن لضباط الجيش إذ ذاك اى رأى عام... والسخط لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة عملية، ما لم يصبح سخطا عاما محدد الأسباب.. دافعا إلى التكتل والعمل من خلال خطة مدروسة ترتب النتائج المتوقعة قياسا على الأسباب الموضوعية... لذلك كانت حتمية لا مهرب منها أن تخلق المجموعة الثائرة رأيا عاما بين ضباط الجيش حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد بصورة منظمة منسقة .

كانت المشكلة الأولى التى تواجه الضباط الأحرار أن مجهوداتهم كانت محدودة لأنهم كانوا يعملون اعتمادا على أنفسهم وليس بناء على رأى عام موحد وموجه بين الضباط، ولذلك كانت أعمالهم فردية أو شبه فردية... أما المشكلة الثانية فهى انعزال الجيش عن الشعب وتسخيره دائماً ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد...

32وصيتى

كان الشعب فى ذلك الوقت يتحمل عبء الثورة والتضحية الجسيمة والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والبريطانية على حد سواء... لذلك كان أهم بند فى التخطيط للثورة أن يطمئن الشعب إلى جانب الجيش ، وأن يدرك أن هذا الجيش معه ، لا عليه ، وعلى الأقل أن يدرك أن هذا الجيش ، إن لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعه

، فلن يكون عليه بحكم مصريته . استقرت جماعة الضباط الأحرار على تخطيط علمى مدروس،

بدأت فى تنفيذه على الوجه التالى:

1 ــ خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش

2 ــ أشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين، لا تقل عن مسئولية أفراد الشعب العاديين .

3 ــ وضع تخطيط تدريجى لبث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم إلى أن يكون للجيش نفسه دور فى عملية إنقاذ البلاد ، أو أن يكون على الأقل محايدا بين الشعب والسلطات الحاكمة العميلة، بحيث لا يشترك فى تسديد الضربات إلى الشعب إذا تقدم أحد لحمل تبعة الإنقاذ .

أما الهدف البعيد الرئيسى الذى لم يغب عن أعين منفذى ، التخطيط حتى لا يدخلوا فى متاهات جانبية ، فقد كان الوصول بأية خطة من الخطط المحكمة إلى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد ، وهو النظام الذى تجسد فيه تحالف الإقطاع مع

الاستعمار مع رأس المال الأجنبى من أجل استغلال خيرات مصر وإهدار كرامتها، وكانت النتيجة أن فقد الإنسان المصرى إحساسه بالانتماء إلى وطنه..

والإحساس بالاغتراب هين إذا لم يفقد الإنسان الأمل فى العودة إلى موطنه، ولكن ما الحال إذا كان الإنسان منفيا داخل وطنه ! !

هكذا كان حال الإنسان المصرى تحت ضغوط الملكية والاستعمار والإقطاع ورأس المال الأجنبى.. ومن أجل هذا الإنسان لم يأل الضباط الأحرار جهدا من أجل تنفيذ خطتهم لإنقاذه .

كانت أولى خصائص تلك الخطة هى نبذ السرية نبذاً تاما فى المراحل المبكرة من مراحل الدعوة، لان السرية توحى بالتآمر وتنذر بالخطورة ولا تستطيع أن تجمع الأنصار بسهولة إذ أن عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الأمر.. آما فى جو العلنية الصريحة فيمكن تكوين الصداقات وتعزيزها، واختيار الأشخاص الذين يبدو إخلاصهم وقدرتهم على العمل دون إثارة لغط أو شكوك فى صفوف الضباط أو فى الأوساط الحاكمة.. على هذا الأساس قامت جماعة الضباط الأحرار بين

جماعات الأصدقاء فى الجيش بإثارة المناقشات العلنية فى جميع مشكلات الدولة السياسية والاجتماعية.. والاقتصادية الداخلية والخارجية.. وبالفعل انتشرت المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة ، وبدأت تسمع نفس المناقشات فى أماكن متفرقة، وبدأت ترى الضباط يلتقون فإذا هم متفقون فى السخط ، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من أجل إنقاذ الوطن والوفاء بحاجاته.. معنى هذا أن الرأى العام قد بدأ يتكون ، وان عقبة كبيرة من عقبات الطريق قد بدأت فى الزوال .

بعد ذلك كان لابد من التوجيه لأن هذا السخط عندما ينمو، يمكن أن يكون خطرا كبيرا ، إذا لم يصحبه توجيه سديد يعرف جيدا الخطوة التى تؤدى إلى الخطوة التالية وهكذا .
فمن المحتمل بل من المتوقع أن تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر، وبين يوم وآخر من تلك الأيام العصيبة السوداء.. وإذ بالساخطين ينفجرون فرادى.. أو ينفجرون دون وعى فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها... خاصة أنه من الممكن لبعض الهيئات أو الجماعات إذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش أن تحاول ضمهم أليها بصورة أو بأخرى. عندئذ تفلت من الجيش قيادته إلى أيد قد لا تحسن التوجيه.. لذلك قررت جماعة الضباط الأحرار تطوير المخطط الثورى حتى يتلاءم مع الظروف الجديدة .

تطور المخطط بحيث تتفق جماعة الضباط الأحرار علـــى أساســـين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهرياً من عوامل النجاح :

أولا: العمل على ألا يتأثر الضباط بالأحداث الجارية أى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون وعى أساسى ودون خطـــة حكيمـــة مدروسة .

ثانيا: العمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم، فـــلا يرتبطـــون كأفراد أو كجماعات بأية هيئة أو حزب خارج نطاق الجيش، لأن الجيش عنصر خطير يجب أن يظل توجهه فى الأيدى القادرة على تقدير خطره، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس.. وكان لابد لضمان هذين العنصريين من نشاط منظم مدروس تـــسيطر علـــى توجيهـــه جماعـــة الضباط الأحرار نفسها .

www.anwarsadat.org

4

بدأ التنفيذ العملى للخطة بالتدريج وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا وفى نطاق واسع ، وعلي أساس الصداقة أيضا لكى تبث الأفكار وتحذر الضباط من التأثر تأثرا فرديا ومن الارتباط بأية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش، وبالفعل بدأت الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط، وأصبحتا جزء لا يتجزأ من الرأى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الأسلحة، وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة التنظيم قد شملت جميع ضباط الجيش، ولا نسبة كبيرة منهم.. بل كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد، والتى لا يمكن الاعتماد عليها فى أى شىء.. وكانت فى الجيش عناصر أخرى مستقلة عن هذا التكوين.. رفض تنظيم الضباط الأحرار التعاون معها.. وكانت فى الجيش عناصر انتهازية لم يكن من الصعب تحديدها واتقاء خطرها.

ومثلما كان من المستحيل الوصول إلى السيطرة الكاملة على

جميع ضباط الجيش وعناصره، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالأحداث الجارية فى البلاد.. ولكن المبدأ الذى اتفقت عليه جماعة الضباط الأحرار منذ البدء هو ألا يؤدى هذا التأثر إلى أى عمل فردى.. ومن تأثر الضباط بالمتغيرات الجارية عاملا مساعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا لا يحتمل أى لبس، وكان من أهم المتغيرات التى حدثت هى حرب فلسطين. لذلك فقد حان الوقت للقيام بعمل حاسم حتى لا يتحول الزمن إلى عامل مضاد لحركة الضباط الأحرار... وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر وحكامهم... ولم تكن المنشورات ذات لهجة حماسية جوفاء بل تحددت فيها أهداف الشعب بوضوح وبأسلوب علمى.

لم يتحدد فى المنشورات مطلب للجيش أو لضباطه وجنوده.. كانت كل كلمة مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد... فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ويرفض الممارسة الحزبية القائمة ويطلب القضاء على المستعمر وأذنابه ورفض الأحلاف العسكرية والدفاع المشترك.. وقد طبع تنظيم الضباط الأحرار مئات المنشورات لتأييد وجهة نظر الشعب، ومضى كل أعضاء التنظيم يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لاندلاع الثورة الشعبية.

5

أقبلت الأحداث والمتغيرات لدفع عجلة التاريخ بسرعة، فقام الضباط الأحرار بواجبهم الوطنى فى عمليات الفدائيين فى منطقة القناة خلال عام 1951، 1952 برغم إرادة الاستعمار، القصر، والحكومة.. وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات ثورية داخل الجيش أكثر مما قدرت الهيئة التأسيسة للحركة.. وقد أصبح فى ص وحدة من الوحدات العسكرية أفراد منضمون لتنظيم الضباط الأحرار.. ونجحت الفكرة إلى حد كبير، بينما الأمور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير.. فقد وقع حريق القاهرة فى يناير عام 1952، واجتمع تنظيم الضباط الأحرار لتغير الخطة كلها حتى تتلاءم مع الظروف الجديدة الطارئة، وكانوا قد قدروا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى لكن ذلك الحدث الضخم كان نذيرا لكل التنظيم بالإسراع فى تنفيذ الخطة الجديدة.. وبالفعل اجتمعت الهيئة التأسيسية للتنظيم وقررت تقديم موعد قيام الثورة بدلا من 1955 إلى 1952.

فى أثناء حريق القاهرة صدرت الأوامر لجميع الضباط الأحرار فى القاهرة بمقاومة أعمال التخريب لان القصر والاستعمار وأعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة ولا سبيل إلى مقاومة هؤلاء الأعداء إلا بثورة، ولكن ليس بالتخريب أو الخطب الرنانة، فقد كانت الثورة عملا علميا مدروسا من الطراز الأول.. ولذلك نجحت.. وكان الهدف الأساسى لها هو إعادة الكرامة للإنسان المصرى وحقه فى السيطرة على مقدراته.

من أجل هذا الهدف الجليل قضت الثورة على الاستعمار وأعوانه من الخونة، وقضت على الإقطاع وعلى سيطرة رأس المال على الحكم كما طبقت العدالة الاجتماعية.. وسعت إلى إقامة جيش وطنى قوى لكن قوته الحقيقية لم تختبر بالفعل إلا فى حرب أكتوبر المجيدة عام 1973.. عندما واجه العدو لأول مرة وجها لوجه.

www.anwarsadat.org

6

كل هذا كان من أجل كرامة الإنسان المصرى .

إذن ما الذى حدث لكى تنحرف الثورة عن مسارها من أجل بناء الإنسان المصرى؟ وهو الانحراف الذى اضطرنى إلى تصحيحه فى 15 مايو 1971- لقد انحرفت الثورة عن مسيرتها عندما صرفت النظر عن طيق المبدأ السادس والأخير من مبادئها، وهو المبدأ الذى ينص على إقامة حياة ديمقراطية سليمة.. وكانت تلك هى القشة التى قسمت ظهر البعير.. وكانت الباب الذى دخلت منه ص السلبيات والنكسات التى بلغت قمتها فى هزيمة يونيو 1967.

لقد نسى الجميع فى الستينات فى-مى التطبيق الاشتراكى المستورد أن مصر تملك من القيم والمثل والتقاليد ما يساعدها على مجاراة روح العصر، بكل تطوره الحضارى، وتحولت الاشتراكية إلى صنم لابد للإنسان المصرى أن يتعبد فى محرابه حتى ولو أدت هذه الطقوس إلى طمس مصريته.. وبدلا من أن تكون المبادئ الاشتراكية فى خدمة الإنسان .. تحول

الإنسان إلى خادم فى بلاطها، لا يجرؤ على المناقشة أو التحليل أو حتى مجرد إبداء الرأى العابر.. وضاعت فى الطريق قيم كثيرة عاشت عليها مصر آلاف السنين.. ضاعت قيم الأيمـــان.. والكرامـــة.. والتـــسامح.. والتفاؤل والحب.. والصداقة.. بينما برزت على الـــسطح قـــيم غريبـــة ودخيلة علينا تمثلت فى الالحـــاد، والحقـــد.. والـــصراع.. والتـــشاؤم وأوشكت ملامح الإنسان المصرى أن تهتز وتتلاشى، وهى الملامح التى عرفها عنه العالم على مر تاريخه الطويل وهذا ما يدفعنى إلى تأصـــيل هذه الملامح والدعوة إلى ترسيخ هذه القيم، فهى أمانة فى عنـــق كـــل مصرى عليه أن يحملها ويؤديها من أجل خيره ومن أجل الحفاظ علـــى كيان مصر لا اليوم فقط ونحن أحياء، بل ومن بعدنا فى الغـــد القريـــب والبعيد على السواء.

www.anwarsadat.org

الفصل الثالث

الأيمان : بر الأمان

www.anwarsadat.org

1

كانت مصر أول دولة فى تاريخ الحضارة الإنسانية تصل إلى مفهوم محدد للإيمان يقترب كثيرا فى حماته من ذلك المفهوم الذى هبطت بـــه الأديان السماوية فيما بعد.. وهذا أكبر دليل على مدى رسوخ الأيمـــان فى وجدان الشخصية المصرية التى تكونت على مدى سبعة آلاف عـــام من تاريخها الحضارى الطويل.. وأى تجاهل لهذه القيمة الجليلـــة فـــى حياتنا وتراثنا تجاهل فى نفـــس الوقـــت لأهـــم مقومـــات الشخـــصية المصرية.. وتاريخ شعبنا يؤكد أن فترات الاضمحلال التى مر بها كانت العصور التى ابتعد فيها الحكام وخلفهم الرعية عن حظيرة الأيمان.

كان الأيمان وسيظل الطريق الوحيد المؤدى إلى فهم المعنـــى الـــذى ينطوى عليه هذا الكون.. وإلى إدراك وحدته الأزلية الأبدية التى تتبلور فى علاقة الحب الصافى النقى بين الخالق والمخلوق.. وهـــى العلاقـــة التى تحرص دائمـــاً على تخليص الإنسان مـــن الحـــــدود الماديـــة القاتلـــــة التى تجبـــــره على البقـــاء فى دنيا الحيوان بكل ما تحويه

من غرائز بدائية وانفعالات بربرية وشاطحات وحشية .. وكل البشر- على اختلاف مشاربهم- لديهم هذا الجانب الروحى فى حياتهم سواء اعترفوا به أم أنكروه.. وإذا كان ل!جسد الكثير من المتطلبات فالروح أيضا لها من المتطلبات ما هو أكثر حيوية بالنسبة لنمو الإنسان المتكامل.. لكن الجسد ينتصر فى كثير من الأحيان لأن ضغوط الحياة المادية وإلحاح الغرائز الحيوانية وصراع الغابة الذى يحكم حياة الأفراد؟ يحكم حياة الشعوب، ص هذه العوامل تجعل للجسد السيطرة المؤقتة على الروح وتنسينا القدرة على التأمل والتفكير.. فنحن نرهق أ!ابنا وغرائزنا طوال العام فى انفعالات هذه الحياة التى نحياها.. نشقى ونسعد ونتألم ونفرح.. لكننا ننسى دائماً ونحن

فى هذا الموكب أنه يجب أن نعود إلى نفوسنا ولو لبعض لحظات نست! فيها سر وجودنا وماهية رسالتنا على هذه الأرض.. وبذلك أصبح مرور الأيام وتعاقب الليالى شيئاً رتيبا مملا، نحسه ولا ندركه، ونعيش فيه ولكن لا نغوص فى سره .

هكذا خفتت شعلة الأيمان داخلنا، وهى فى الواقع بين أيدينا.. إن أردنا أشعلنا نورها.. وإن أردنا أخمدنا جفوتها.. وهى أكبر دليل على أننا لم نخلق عبثا، وص إنسان منا كولد وفى عنقه رسالة عليه أن يؤديها حمدا منه وشكرا للخالق الأعظم الذى كرم الإنسان ونفخ فيه من روحه جعله أشرف المخلوقات.. فهل يجوز لأشرف المخلوقات أن يتجاوز عن قيمة الأيمان فى حياته وبذلك ينزل عما شرفه به الله فى خليقته، فلا يرعى الحق والعدل وهما شريعة خالقه؟

إن الأيمان بمفهومه الرحب الشامل قادر على أن يرتفع بآفاق تفكيرنا فوق ما فرضناه على أنفسنا من قيود هى من صنعنا ولكنها ليست من طبيعتنا أو تراثنا الذى يؤكد باستمرار على الدور الحيوى الخطير التى يتحتم على الأيمان أن يلعبه فى حياتنا. من هنا كان قولى فى ورقة أكتوبر " :

كان من أبرز صفات هذا الشعب دائماً تمسكه. بالأيمان واعتزازه بالأصالة.. أما الأيمان؟ نفهمه اليوم فهو ذلك الأيمان النقى الخالص البرىء من التعصب والمتطهر من تلك الشوائب التى علقت بجوهره فى عصور الاضمحلال، البعيد عما ينسب إليه زورا من روح التواكل التى لا تعرف المشولعة، والتعلق بالخرافات ونفى دور إرادة الإنسان وإرادة المجتمع فى أن يواجه أمور حياته المتجددة مستعينا بما أودعه الله فيه من عقل ميزه به عن سائر المخلوقات.. وقد علمنا محمد رسول الله (ص) هذه المعانى فى قوله : " مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم، لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع ".. وليس الجهاد فى سبيل الله هو القتال وحده، فقد قال لنا رسول الله (ص) أيضا " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع بل وعلمنا الجهاد بمعناه الاجتماعى العميق بقوله صلوات الله وسلامه عليه : "الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله " .

www.anwarsadat.org

2

وليس أخطر على هذا الأيمان فى معدنه الحقيقى من الذين يجعلــون منه نقيضا للعمل والبحث والعلم.. فالله عز وجل قد وضع طلب العلم فى مستوى الجهاد فى سبيل الئه، وجعله قرينا للإيمان حين قال ســبحانه وتعالى:

''يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "
صدق الله العظيم

هذا هو ما أكدته فى " ورقة أكتوبر " وأعود إلى تأكيده مرة أخــرى لأجيال شبابنا المعرضة للعديــد مــن التيــارات الفكريــة المــستوردة والمتصارعة حتى يتخذوا منه أرضا صلبة راسخة يقفون عليها بأقــدام ثابتة فى مهب هذه الرياح.. فلا خير فى أمة يتحول شبابها إلى ريــشة فى مهب الرياح.. أننا لابد أن نتمسك بقيمنا الروحية والأخلاقيــة فــى مواجهة موجة الاستمتاع المادى التى تعرفهــا مجتمعــات الاســتهلاك الغنية لأن تلك القيم هى مــن الــسمات الأصــيلة لحــضاراتنا.. ولأن المجتمعات التى تجاهلتها تعرف الشقاء النفسى وسط الوفرة المادية.

الأيمان هو الدافع الأساسى لتمسكنا بقيم التكافل الاجتماعى وتماسك الأسرة وسيادة مشاعر المحبة ونبذ د.. فقد كانت تلك القيم هى العاصم للمجتمع فى الأوقات وهى السياج ضد نزعات الفردية المطلقة، وانعدام المسئولية الاجتماعية، التى تفكك المجتمع وتسلب الإنسان مشاعر ما أحوجه إليها.

إن الأيمان هو السلاح الذى وهبه الله للإنسان لكى يميز بين والباطل.. بين الفضيلة والرذيلة، بين الخير والشر وهكذا .. فى مختلف صراعات الحياة.. بل أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد لأن الأيمان هو الطريق الوحيد الذى يؤدى إلى معرفة حقيقية لا تقوم على الخوف من العقاب أو الطمع فى الثواب ، ولكن تقوم على الاستيعاب الشامل، والحب الناضج بين الخالق والمخلوق.. هذا كله يتأتى عن طريق التجاوب الفعال بين التنظيم العقلى والانطلاق الروحى.. ولعل المثل لسدى المصرى خير ما يعبر عن هذه الحقيقة عندما يقول"ربنا عرفوه بالعقل " .. وبناء على ذلك فنحن نعيش فى كون معقول لأنه يتبع فى كلياته وجزئياته قوانين ثابتة وواضحة..

تسير على نهج محدد من الأزل إلى الأبد.. فهى لا تحير العقل بالمفاجآت أو بالتحولات ولا تلتبس على فهم ولا تستعصى على منطق، لأن الله منح الإنسان روحا وعقلا لكى يدرك بهما

القوانين الإلهية التى تحكم ص شىء، من أكبر إلى أصفر جـزء فـى الوجود وتربط ص الموجودات برباط محكم. وهذه القوانين إلى جانـب أنها ثابتة وواضحة فهى صارمة وقاطعة.. فالعالم تحكمه المطلقات ولا مجال فيه للعبث بهذه المطلقات وعلى سبيل المثال فأن الخير خير فـى كل زمان ومكان. كان خيرا منذ آدم بل كان خيرا فى علم الله قبـل أن يأتى آدم إلى الوجود وهو اليوم خير وسوف يكون خيرا حتـى نهايـة العالم.. كذلك الشر شر فى كل زمان ومكان.. كذلك الفـضيلة فـضيلة والرذيلة رذيلة ولن يلتقى الاثنان .

فإذا عجز عقل فرد عن فهم هذه المطلقات الصادرة عن العقـل الأكبـر المعقول لا كبار على هذه المطلقات وإنما الغبار على عقل الفرد الـذى فقد علاقته العضوية بروحه وجسده، أما عقل الجماعة فلا غبار عليـه ومهما ضل الفرد فالمجتمع عاقل ومعقول وإلا كان قد انـدثر.. ولـذلك فإن إرادة الشعب من إرادة الله ، وان الدين للعمران الدنيوى وليس فقط لحياة الآخرة... لهذا أمكن أن يحكم المجتمع بالقوانين المـطلقة التـى كان يمكن لعقل الإنسان أن يعقلها مع مرور ألزمن لولا لطـف الله بـه فهو الذى بادر فبلورها فى كتبه السماوية.. فى هـذه الكتـب ارتـسم للإنسان طريقان واضحان لا ثالث لهما: طريق الغى وطريـق الرشـاد، وكل منهما يفضى إلى نتيجته الحتمية وهى الجحيم للمخطئين والنعـيم للمتقين .

وبما أن القوانين الدينية- والقوانين الدنيوية مبنية عليها- معقولة، وبما أن الإنسان مخلوق عاقل، أذن فقد تحددت مسئوليته عن أعمالـــه وأفكاره ونواياه جميعا فى المسئولية كاملة لأن الإنسان مخيـــر وهـــو مخير لأنه مميز.. وهو مميز لأن الله لطف به ...

www.anwarsadat.org

3

من هنا كانت حتمية الأيمان بالله والعمل بما أنزله فى كتبه السماوية.. ولما كان الأيمان هبة من عند الله كان الإنسان هو المخلوق الوحيد المسلح بأسلحة تمكنه من منازلة الشيطان ومحقه وكان الشيطان قوة خارجية تنازل الإنسان من الخارج.. فتجسم آماله حينا فى زى المال وحينا فى زى رفيق السوء.. وهكذا إلى آخره من مغريات الحياة الدنيا.. ولكن الإنسان الحقيقى بماله من إيمان راسخ وعقل مميز وروح مفطورة على الخير يستطيع أن ينازل هذه الأخطاء الخارجية ويمنعها من أن تتغلغل فيه وتفسد نفسه وعمله وفكره.. ولقد يخسر الفارس المحارب جولة أو جولات ولكنه فى النهاية فائز ومنصور إن هو اتخذ من العقل درعه ومن الدين سيفه.

والفرد المؤمن فرد مطمئن وكذلك المجتمع المؤمن فإن الطمأنينة لابد أن تسوده لأن العلاقات الإنسانية الثابتة والمطلقة هى التى تربط بين أفراده.. كل من فيه مطمئن إلى عدالة السماء، وإلى أن هناك قوة إلهية أزلية وأبدية تنظر إلى المؤمنين

بعين الحب والرعاية، فإن حدث خطأ بشرى ونضبت عدالـــة الأرض.. فعدالة السماء لا تنضب.. وهى تملك من قوى التصحيح على الأرض ما يثبت فاعليته الحاسمة فى الوقت المناسب والذى قد لا يخطر على بـــال بشر.. ولذلك فإن الأيمان هو السلاح الوحيد القادر على هزيمـــة تلـــك القوة الغامضة التى نسميها بالقدر.. قد لا نستطع أن نحكم على أفعـــال القدر عندما تحدث، ولكن بعد مرور وقت طويل نستطع أن ننظـــر إلـــى الماضى، فنجد أن الأيمان الذى نتذرع به عندما نعمل فى سبيل الحـــق، هو دائماً أقوى من القدر.

قد يظن الناس أن هذا الكلام من باب الوعظ ولكنه إذا تعمق معانيـــه سيجد أنها حقائق طالما حاولنا الهرب منها لأن نفوسنا لم تستمتع بلذة ممارستها.. فلقد خلق الله الأيمان فى قلب الإنسان مـــن أجـــل تهـــذيب النفس الطائشة وتنظيم المجتمع ا لبدائى.

والأيمان هو الوسيلة الوحيدة التى تجنب الإنـــسان فقـــدان مدلولـــه الإنسانى والاجتماعى حتى لا يتساوى وجوده مع عدمه.. فإذا كنا نقول أن للإنسان وجودا ذاتيا نابعا من كيانه الشخصى فأننا لابد أن نـــضيف البعد الاجتماعى الموضوعى إلى بعده الشخصى الذاتى حتـــى تتـــوافر شروط وجوده كانسان متكامل.. فالواقع أن الإنسان لا يوجد فى فـــراغ بل أن وجوده مرتبط بوجود الآخرين.. فالإنسان فى نظر الآخرين ليس

هو بالذات وإنما مجرد الصورة التى تكونت فى ذهنهم عنه، وبـــذلك يختلف وجوده من شخص لآخر أى أن النسبية تتدخل حتى فى الكيـــان الشخصى للإنسان.. ونفس المعيار ينطبق على وجود الآخرين بالنسبة للإنسان.

لذلك فالوجود الفعلى للإنسان هو حاصل التفاعل بين كيانه ووجـــود الآخرين.. وهذا يؤكد أن فقدان الآخرين خاصة الأصـــدقاء مـــنهم هـــو فقدان أجزاء من نفوسنا بكل ما تحمله من أمل ونبل وتضحية وعزاء.. فالعلاقة الإنسانية نسيج حساس لا يعتمد فقط على الحاجة المتبادلة لكنه يمتد ليشمل كل المثل والقيم والأخلاق والاحـــساسات والمعـــافى التـــى حرصت الإنسانية على تأكيدها منذ فجر الحضارة.. والأيمان خيـــر مـــا يمد الإنسان بالإحساس المرهف الذى يمكنـــه مـــن وضـــع العلاقـــات الإنسانية فى إطارها الصحيح.. فلا ينظر إلى الحياة فى ضـــوء قـــانون الغاب بل يسمو إلى الآفاق. التى جعلت منه أعظم وأروع مخلوق علـــى ظهر هذه الأرض .

4

والتأمل الروحى الجاد ظاهرة مصاحبة للإيمان العميق، لذلك فإنه من المفيد بل من الضرورى للإنسان أن يخلو إلى نفسه بين الحين والآخر حتى يحاسبها ويضع لها الإطار الذى يجعل اتصالها بالآخرين من أجل سعادة الإنسان. وهذا يذكرنا بسقراط عندما ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق فى مقدوره أن يفحص ويراجع ويتأمل أحوال وجوده فى كل لحظة من لحظات هذا الوجود.. ويرى سقراط أنه فى ضوء هذا التأمل تكمن القيمة الحقيقية للحياة.

يقول فى هذا: " إن الحياة التى لا توضع موضع التأمل..لا تستحق أن تستمر ". من هنا كانت دعوتى إلى نبذ التشنج والجموح والانصياع لنزوات النفس.. فينبغى ألا ننساق وراء انفعالاتنا إلى حد التدمير.. ذلك لأن الأشياء تتغير باستمرار.. ولا يبقى إلا الجوهر الذى يجب أن نحرص عليه ونتمسك به وقديما قال سقراط: أ لا تبدد نفسك، لا تضع طاقتك فيما لا يفيد.. لا تكن جامح الرغبة.. لا تكن ضحية

للتشنج، بل أملك زمام نفسك، وانظر إلى الحياة نظرة مخلوق فان.. أما الأشياء التى حولك فإنها لا تمس النفس لأن تلك الأشياء خارجية وهى تتغير سريعا ولا يبقى منها أثر ولتذكر كم شهدت أنت من صور هذا التغير المستمر."

هذا الإدراك الناضج لا يتأتى إلا من روح غمرها الأيمان.. وعقل تشرب العلم. والجمع بين العلم والأيمان ليس على سبيل الربط بين الأضداد؟ يتبادر للذهن التقليدى لأول وهله.. لأن الأيمان قد يكون الامتداد العضوى للعلم.. وقد يكون العكس .. أى أن العلم يمكن أن يكون الامتداد العضوى للأيمان.. من هنا كانت ضرورة تطبيق شعار " العلم والأيمان " كشعار لمصر الحديثة، وكمنهج للتكامل الفكرى الذى يلبى احتياجات الإنسان المادية والروحية فى آن واحد. ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن كل ما بنيناه معرض للدمار، إذا لم نقف ونبنى دولتنا الجديدة البناء الصحيح الذى لا يكون إلا على العلم والأيمان.. بالعلم لن نتخلف ابل!ا عن كل ما فى العصر من مستحدثات ولن نعيش أبدا متخلفين.. بل إن علينا أن نعود إلى حضارتنا وإلى ما بنيناه عبر تاريخنا وأخذ منه غيرنا وبنى عليه.. أما بالأيمان فسنكون دائماً قوة صلبة منيعة لا يستطيعان يتعرض لها أى عاد أو غاز أو مستعمر أو معتد.. الأيمان بالله سبحانه وتعالى والأيمان بأرضنا وترابنا.. بكل شىء فى بلدنا.. الأيمان بتاريخنا.. الأيمان بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .. الأيمان الذى لا يتزعزع فى أننا بعون

الله وبإرادة الله سنجعل من هذا الوطن عائلة واحدة .

وتتجلى علاقة العلم والإيمان فى آراء العلماء والفلاسفة الذين قفزوا بالفكر الإنسانى قفزات واسعة.. يقول آينشتين مثلا مؤكدا ضرورة الإيمان لفكر العالم " إن الأيمان هو أقوى وأنبل نتائج البحوث العلمية ، والدين يشمل الإعجاب المتواضع بتلك الروح العليا غير المحدودة والتى تكشف فى لمحات خاطفة عن بعض التفاصيل القليلة التى لا تستطيع عقولنا المتواضعة إدراكها ، وهذا الإيمان القلبى العميق.. والاعتقاد بوجود قوة حكيمة عليا تستطيع إدراكها خلال ذلك الكون الغامض يلهمنى فكرتى عن الله " .

هذا ما يقوله عالم وفيلسوف دمغه معظم الدارسين بالمادية والإلحاد . وهذا يؤكد بدوره أنه لا غنى لعلم مهما ارتقى وتطور عن الإيمان .. فالإيمان ضرورة حتمية سواء للعالم أو للرجل العادى لأنه لابد أن يؤمن الإنسان بدين أو بعقيدة أو بمبدأ أو نظرية .. إلخ .. وأسمى أنواع الأيمان هو الذى يرتفع بفكر الإنسان وسلوكه من عالم المادة المضطرب والمرهق إلى عالم المثال والروح .. ذلك العالم الذى ينبع منه الحق والخير والجمال .

يذكرنى هذا بحكمة قرأتها وأنا فى السجن فحفظتها عن ظهر قلب ثم دونتها فى تلك الكراسة التى احتفظ بها حتى اليوم..

58 وصيتى

كانت تقول:

" خلق الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وخلق الشياطين من شهوة بـــلا عقل، وخلق ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله على شهوته فهو خيـــر من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من الشياطين " .

كم نحن بحاجة لأن نفهم بعقولنا وأرواحنا وأجسادنا هـــذه الحكمـــة الخالدة وسط تيار الصراع البشرى المخيف الذى جرفنا، وغمر كياننـــا وحياتنا بزخرف المادة البراق فغلبت شهوتنا عقولنا وأصبحنا شرا مـــن الشياطين .

www.anwarsadat.org

5

أننا لا نحس السعادة وسوف لا نذوق لها طعما إلا إذا عدنا إلى عالم الروح.. وعالم الروح منبع الحق والخير والجمال.. فى هذا العالم ترتفع الغشاوة عن العين ليرى البشر نعيما رائعا، وجمالا ساميا حين تتكشف لهم أسطورة الخلد وآية النجاة.. فى هذا العالم تصفو النفوس فلا يعود يستبد بها غضب ، أو حقد ، أو كراهية فهذه بضاعة المادة ، ووحى شياطين الدنيا الفانية.. فى هذا العالم يملأ القلب إيمان راسخ، والأيمان أبدا هو القوة فى اسمى مظاهرها.. هنا فقط يبدأ أقدس وأعظم درس فى الوجود وهو الحب ، فيحب الإنسان الله لأنه الحق، وهو الحبيب الذى بيده ملكوت كل شىء ، ويحب الإنسان كل الأشياء ، وهذه الأشياء من صنع يد واحدة هى يد الفنان الأعظم سبحانه وتعالى .

ولا شك فى أن محك أصالة أى فكر ، هو التطبيق العملى له لاكتشاف مدى ثباته فى مواجهة عجلة الزمن وحركة المجتمع.. وكانت حرب أكتوبر المجيدة هى الامتحان الذى 60وصيتى

اجتازته النظرية بنجاح باهر.. كان السلاح الحديث فى يد الجندى المصرى كما كان الإيمان فى قلبه واختلط هدير المدافع بأزيز الطائرات بقعقعة الدبابات بهتاف " الله ! أكبر " وتحول جيشنا إلى طوفان هادر

أغرق فى طريقه كل تحصينات العدو وأسلحته الحديثة بحيث ولى مذعورا كالأرانب الجبلية.. ذلك تأكيد لأجيال ما بعد السادس من أكتوبر: إن طريق العلم والأيمان هو الطريق المؤدى إلى التحرير والتعمير فى آن واحد.

www.anwarsadat.org

الفصل الرابع

الحب ، أروع نعم الله

www.anwarsadat.org

1

فى عصرنا اللاهث هذا يجدر بنا أن نقف أمام قيمة كبيرة ورائعة جدا كدنا أن ننساها فى صراعنا اليومى من أجل تحقيق مطالبنا المادية.. هذه القيمة هى الحب.. الذى أخذ فى التضاؤل حتى كاد مفهومه أن ينحصر فقط فى المسألة الحسية على الرغم من أن الحب قيمة تمتد وتتسع لكى تشمل الكون كله بكل روعته وبهائه.. فالمفهوم الحقيقى للحب يبدأ بحب الله.. وهو مفهوم ليس جديدا على الفكر العربى إذ نجده عند فلاسفة الصوفية من أمثال جلال الدين الرومى، وابن عربى، وابن الفارض وغيرهم.. فالحب الإلهى فى نظر أصحاب الخبرة الصوفية هو " محو الحب بصفاته، وإثبات المحبوب بذاته " و هو " خروج عن رؤية المحب إلى رؤية المحبوب " وهو أيضا " الميل إلى الله بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك فى حبه " كل هذه التعريفات تدل على المفهوم الصوفى للحب الإلهى الذى يؤكد أن الوجود الحقيقى للإنسان فى هذا الكون

موجود فقط فى الله عز وجل، فلابد أن يتجرد عن كل ما عدا الله لكى يحيا ويوجد و يتحرك فى الله . ولذلك فالعبادة عند الصوفى هى الاتحاد بالله لأنها علاقة حب متبادلة بين الرب والعبد .

كنت فى شبابى قد تعودت أن أقرأ فى شهر رمضان بالـــذات قـــصيدة لشاعر ألمانى صوفى يردد دعاء حارا صادقا لله سبحانه ، وهو فى هذا الدعاء لا ينسى أنه يعيش على الأرض وهو يسبح بروحه فى ملكـــوت الله الأعلى، ولذلك صدر دعاؤه رائعا جديدا يترجم عبادتـــه لله وحبـــه المتقد فى نفسه ، وفناءه المتصل فيه . كل هذا تترجمه ألوان من هذه الطبيعة التى رعتها لنا يد الخالق الحبيب فأبدعت وأذهلت.. استمع معى إلى ذلك الصوفى وهو يقول:

هو ربى الذى أعبد
هو ربى الذى أعشق
هو ربى الذى من أجله أريد أن أتألم
وأريد أن أتعذب
وأريد أن انفطر وأتمزق وأموت
انه يتغلغل فى عقلى
تغلغل الحرارة المباركة فى عظام شيخ محطم
ويندمج فى كيانى
كما يندمج العطر فى الزهرة

www.anwarsadat.org

والثمرة فى الشجرة
والنور فى الظلام
فامنحنى يا الهى قوة الفكر
كى أعيش فيك كالأسد
وهبنى يا الهى روح التواضع
كى اقترب منك فى وداعة البنفسج
واسكب على يا الهى ضوء القناعة
كى أنفذ إليك فى حكمة العباقرة
وأغدق على يا الهى فيض الصفاء
كى يغتسل قلبى فى مياهك الزاخرة
وجللنى يا الهى بروائع جمالك
كى اندمج فيك.. واسبح بحمدك.. دنيا وآخره

سنظل نشقى على هذه الأرض... وسنظل نضل الطريق، ولن نستمتع بهذه الحياة إلا إذا ارتفعنا فوق نفوسنا لنفكر فى خلق السماوات والأرض.

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك .

هذه التسابيح الصوفية لا تصدر إلا عن قلب عامر بالأيمان العميق الراسخ، قلب ذاق المباهج الروحية للحب الإلهى وأحس أن الحياة كلها لا تساوى شيئاً بدونها. قلب أدرك أن الأيمان بالله هو اسمى درجات المعرفة اليقينية ، إيمان قائم على الحب المتبادل وليس على خوف الإنسان من الرهبة الإلهية .

وعندما يغمر الحب الإلهى قلب الإنسان فإن كل المخاوف تتلاشى كما تنقشع الظلمة أمام النور.. يذكرنى هذا بالأيام التى قضيتها رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية ، كنت أكتب مقالة يومية بعنوان " رأى " وذات يوم كتبت أقول إننى لن أذكر الله إلا باعتباره صديقا لى أحبه ولا أخشاه ، لأن المنطق البسيط يقول أن وجود الحب يتنافى تماما مع وجود الخوف ، إذن كيف أحب الله وأنا خائف منه..؟

www.anwarsadat.org

ج

بعد نشر هذه المقالة ثارت مناقشة صاخبة تقول أن الخوف من الله جزء مهم من الأيمان ولكن تجربتى القديمة فى الخوف أكدت لى أن الله لا يمكن أن يكون عدوا جبارا منتقما إلا مع الكفار والملحدين الذين أنكروا وجوده وصمموا على السير فى طريق الجحيم.

ما أروع أن تتخذ من الله عز وجل صديقا وحبيبا.

إنه الذى يقول للشىء كن فيكون، وبالتالى إذا استشعرنا هذا الحب الإلهى فى حياتنا فلن يقف أمامنا العالم كله، بل ستتحول حياتنا إلى سعادة حقيقية من ذلك النوع الذى أعيا البشر البحث عنه. لقد وضع الله السعادة بين أيدينا بدافع د من حبه العني لنا.. ولكن على الإنسان أن يستخرج هذه السعادة بنفسه.. أى أن الآخرين أو الأشياء المحيطة بالإنسان لا تمنحه السعادة بقدر ما يستخرج هو منها السعادة، وذلك عن طريق الأسلوب الذى ينظر به إليها.

من هنا يمكن لأى شىء ولكل شىء أن يمنح السعادة للإنسان مادام الأمر فى يديه.. أن حياتنا على هذه الأرض سعادة لا تنقضى. فهذه الأرض جزء من كون رائع يسبح بحمد الله، إن فى نعمة "الصحة سعادة، وفى عاطفة الأبوة والبنوة سعادة، وفي حب الأهل والأصدقاء سعادة، وفى الحياة الزوجية سعادة، وفى العمل سعادة، وفى التأمل فى خلة السماوات والأرض سعادة، وفى الأمل الذى يقهر البأس سعادة، وفى جمال الزهرة وفى خضرة الشجر، فى انسياب المياه ، وفى وقفة

الجبل، فى طلوع الشمس وفى سحر القمر، فى صـــفاء الـــروح، وفـــى استقامة الخلق.. سنعرف الله.. فنسعد إلى الأبد.

ولعل أروع ما فى منطقتنا العربية أنها البقعة الوحيدة التى خـــصها الله عز وجل بحبه العظيم بأن جعل منها مهـــبط الرســـالات الـــسماوية كلها.. لذلك فأننى أفخر بأننى عربى . فمنذ فجر الحياة ووطننـــا يطفـــو بالنور ويستقبل من السماء كلام الله ورسالاته لكى يرســـل بهـــا إلـــى أطراف الأرض عدلا وطهرا ونقاء وسلاما.. من تراب وطنى انبثق نور قدسى هادئ سعى إليه موسى ليعود منه بشهاب قـــبص! علهمـــا بـــه يصطلون. وهناك " فى روعة هذا النور، كلم الله موسى تكليما.. ولمـــا أن ســـأل موســـى ربـــــه طمعـــــا فـــــى أن يـــــــراه، أمـــــــره جـــل وعـــــلا أن ينظـــــر إلى الجبـــــل ، فإن استقـــــر مكانـــــــه فانـــــك يـــا مـــوسى ســـوف تـــــــرى الله . وتجلـــــى مالك الملك

للجبل فجعله دكا، وخر موسى صعقا.. ثم تاب.. هذه البقعة المباركة بكلام الله فى أرض وطنى، وهذا الجبل الذى تجلى له ذو الجلال والإكرام قطعة من تضاريس وطنى. ومن دون نساء الأرض اصطفى الله مريم وطهرها على نساء د!المن. بشرتها الملائكة بعيسى عليه السلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا، وهناك تنحت إلى جزع النخلة، نوديت إلا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وعادت بوليدها إلى قومها لتكلم فى المهد: انى عبد الله، آتانى الكتاب وجعلنى نبيا، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا.

إن مريم ابنة وطنى، والنخلة من زرع وطنى ورسالة عيسى بزغت أول ما بزغت فوق أرض وطنى.

ذلك النبى العربى خاتم الأنبياء، أكرم خلق الله على الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، شهدت أرض وطنى مولده الكريم، وأظلت سماء وطنى شبابه الأمين، وسعدت رمال وطنى بسعيه فوقها مهاجرا ومكافحا من أجل دين الله و.طقت لبشرية على يديه أكرم الرسالات وأكمل دعوة أنزلت للناس. فهل بعد كل هذا نبحث عن أدلة أخرى لكى نثبت محبة الله

لهذا العالم؟ إذن فحين يحب الإنسان الله أكثر من كل شىء آخر، بل أكثر من نفسه، فإنه إنما يأتى فعلا طبيعيا، مادام الله هو الخير المشترك للكون كله، ولسائر الأجزاء التى يتكون منها.. وإذا كان الإنسان جزءا من هذا الكون فإنه من البديهى أن الجزء

المتضمن فى أية وحدة كلية لا يمكن أن يحب ذاته حبا صحيحا.. إلا إذا أحب ذاته باعتباره جزءا من هذا الكل.. لا باعتباره فردا منفصلا قائما بذاته.. والإنسان بوصفه جزءا من الحقيقة الكلية الشاملة، أو باعتباره مخلوقا يدين لله بكل ما يملك لابد أن يحب الله أكثر مما يحب ذاته، وهو لا يحب الله حبا صادقا إلا حين يشعر بأنه ينتمى إليه ويصدر عنه.. ومن طبيعة كل مخلوق أن يبحث عن خيره الاسمى، ولما كان الله هو خيرنا الأسمى.. فمن الطبيعى أن يتغلغل حب الله فى قلب الإنسان أكثر من أى حب آخر يرتبط بالرغبات البشرية المؤقتة.. وهذا يعنى أن حب الله هو الكمال الاسمى للإنسان ولذلك يحاول دائماً التشبه بخالقه ، لأنه يعلم بالحدس أو الشفافية أو الوجدان أن الله خلق الإنسان حبا فيه أى أن الحب كان السر الإلهى وراء إيجاد البشر.

www.anwarsadat.org

3

وأذا كان من طبيعة الحب الناضج الشامل أن يكون متبادلا من الطرفين ، فبالتالى يكون الحب هو الباعث الذى يحكم رغبة الإنسان فى الرجوع دائماً إلى الله .. وهذا يجعل الكون كله تجسيدا حيا لمفهوم الحب الإلهى المجرد. فالعلاقة بين الخالق والمخلوق علاقة ضرورية لاستمرار المعنى من هذا الكون أصلا وهى صلة الكل بالجزء، أو صلة الكمال المطلق بالطبيعة الناقصة. فالإنسان لا تكتمل إنسانيته وكيانه إلا بإدراكه للحب الإلهى الذى يغمره ويغمر هذا الكون.

وكما أن هذا المفهوم يبدو واضحا عند المتصوفة المسيحيين وعلى رأسهم القديس توماس الأكوينى، فقد أضاف إليه المتصوفة المسلمون تنويعة جديدة تتمثل فى ضرورة استبقاء الطابع التلقائى الصافى النقى للحب الإلهى ، فوجهوا كل اهتمامهم إلى تجنب مفهوم المنفعة الشخصية أو السعادة أو الخير من تصورهم الشامل لهذا الحب . قيل مثلا عن رابعة العدوية أنها وضعت 72وصيتى

ذات يوم فى إحدى يديها نارا، وفى الأخرى ماء، وعندما سئلت. عن المعنى وراء هذا قالت:

''سألقى بالنار فى الجنة، وسأسكب الماء على النار، فلا تبقى هذه ولا تلك، وينجاب الحاجبان عن السالكين طريق الله ويتبين لهم المقصود،

ويشاهدون الله لا يدفعهم رجاء ولا يفزعهم خوف، افئن لم يكن رجـــاء فى جنة ولا خوف من نار، لم يعبد الله أحد."

أرادت رابعة العدوية بهذا القول أن تجعل الحب الإلهى منزهـــــا عـــن المنفعة أو الغرض . وفى مناجاة لها تخاطب الله عز وجـــل بقولهـــا: " الهى إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقنى بنـــار جهـــنم وإذا كنـــت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنى إياها ، أما إذا كنت أعبدك مـــن أجـــل محبتك فلا تحرمنى يا الهى من جمالك الأزلى ". !! وذات مرة عبـــرت رابعة العدوية عن مفهومها للإيمان فقالت: ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته، فأكون كأجير السوء، بل عبدته حبا له وشوقا إليه."

هذا هو الحب الحقيقى كمـــا يتمثـــل فـــى اســـمى درجاتـــه وأرقـــي مستوياته. وفى اعتقادى أن كل الخير والحق والجمال فى هـــذه الـــدنيا ينبع من هذا الحب الذى لولاه لما قامت لهذا الوجود قائمة.. والإنـــسان الحقيـــــقى لا يـــمكن أن يـــــدرك المعنـــــى الحقيقـــى لوجـــــــوده دون المـــــرور بهـــــذه التجـــــربة الروحية والوجدانية الرائعة التى

لأبد أن تتحول إلى جزء من كيانه وفكره وسلوكه .. إن الإنسان الذى يحب الله دون طمع فى ثواب أو خوف من عقاب لابد أن يحب صنع يديه المتمثل فى الدنيا التى يعيش فيها، وفى البشر الذين يحيطون به، وبالتالى يمكن للعديد من السلبيات والصراعات التى تهدد المجتمع والفرد أن تترك مكانها للبناء والتقدم والتطور.. فإذا كان من أهم شروط حب الله انتفاء عنصر الغرض أو الهوى أو المنفعة الشخصية إلا أن من أهم نتائجه الخير الذى يعم الجميع ، وينشر معه الجمال ، ويعلى معه كلمة الحق .

74وصيتى

4

وإذا كافي الحب هو العلاقة بين الله والإنسان فلابد أن يكون كذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان. فهذه النفحة الإلهية السرمدية تسرى فى كل المخلوقات لكى تجنبها الصراع والفناء.. وعندما يدرك الإنسان أنه لن يستطيع أن يحقق وجوده أو خلاصه بمفرده، فإنه لن يتردد فى اعتبار نفسه مسئولا عن وجود الآخرين وخلاصهم أيضا.. إذن فالحب الإنسانى هو التجربة البشرية التى لا يريد فيها الإنسان أن ينجو بمفرده.. ولعل هذا ما عناه هيجل عندما قال أن الحب هو عبارة عن الإحساس بالكل، وأن الأشخاص الذين يجمع بينهم الحب لابد أن يشعروا بأنهم يشكلون وجودا واحدا .

ويمضى هيجل فيقول أن المسيح عندما دعا الإنسان إلى أن يحب قريبه كنفسه، فأنه لم يقصد بهذا أن يمنح الإنسان أخاه. نفس القدر من الحب، أو أن يكون حبه لأخيه معادلا من حيث القوة لحبه لنفسه، وإنما كان يعنى أن ينسب الإنسان إلى أخيه قدرا مساويا من الإحساس بالحياة ، مادام الواحد منهما والآخر إنما يستمد الحياة من مصدر كلى واحد .

www.anwarsadat.org

هذا المفهوم الفلسفى للصداقة بتجسد ببساطة فى المثل الألمانى الذى يقول: إن الصداقة هى أشهى ثمرة من ثمار الحياة.. ليس هـذا علـى سبيل المبالغة الإنشائية بل حقيقة راسخة لو أدركنا أبعادها لاستطعنا أن نجعل من حياتنا وجودا أرقى. أن مفهوم الصداقة مثل مفهـوم الحـب تماما، لابد أن يؤخذ بمعناه الشامل العميق خاصة أن معظم الـصداقات فى أيامنا هذه أصبحت صداقات منفعة بكل ما تحمله هذه الكلمـة مـن معافى الحقد الدفين والصراع الخفى، ونسى الجميع فى غمرة الـصراع اليومى من أجل لقمة العيش المعافى السامية التى تبثها الـصداقة فـى أفئدتهم . فالصديق يمكن أن يكون أفضل من الأخ، ذلـك لأن الـصداقة اختيار واختبار أما الأخوة فأمر واقع وتحصيل حاصل، وقد تصيب وقـد تخيب.

ومن الناحية السيكولوجية تعد الصداقة ضرورة حيوية فى هذا العالم الذى يجبر الإنسان دائماً على العزلة والانطواء واجترار آلامه بمفـرده دون أن يشاركه. فيها أحد.. وما أروع أن يجد الإنسان صـديقا وقـت الحاجة أو الشدة.

إن مجرد أن ينفس الإنسان عن مكبوتاته عند صديقه، فإنه يأمن شر الانفجار الذى قد يورث العقد والهزات النفسية، أو يؤدى إلى الانهيـار الكامل أو ربما الانتحار. وعندما أتكلم عن الصداقة فليس هذا من وحى قراءاتـى فقـط بـل بـدافـع من خبـرتـى الشخصيـة أيـضا . فقـد افتقـدت الصداقـة كثيـرا فـى السجـن عندما

وجدت نفسى فى الزنزانة 54 بسجن مصر المركزى وليس لى أصدقاء سوى الجدران الأربعة التى تطبق على أنفاسى من كل جهة.

إن محبة الصديق ليست مجرد صورة من صور حب الذات وإنما هى مظهر من مظاهر الخروج عن الذات من أجل الاعتراف بقيمة الآخرين.

وإذا كانت الكراهية لا ترى فى الناس إلا تكرارا مملا لبعض " العيوب النفسية والنقائص الأخلاقية، فإذ المحبة لا ترى سوى ص القيمة المطلقة لكل فرد من الأفراد، فتمي فيه وحده شخصية كلية لا يضارعها شىء آخر فى الوجود. تبدو الكراهية دائماً مندفعة ومتهورة بلا مبرر منطقى أو إنسانى، ذلك لأنها فى حقيقتها عبارة عن حكم متسرع أهوج ، أو نظرة سطحية عابرة . ترفض الاعتراف بما يمثله الآخر من قيم إنسانية وروحية ، أما المحبة فأنها على النقيض من ذلك تماما، إنها التجسيد العملى للتأنى والروية ، أو نوع من وضع الآخر فى الاعتبار على سبيل فهمه وإدراك ذاتيته . فالصداقة تقرأ الباطن وتركز على الجوهر بينما! تقتصر الكراهية على التأويل السطحى والتفسير الظاهرى لسلوك الآخرين.

5

والإنسان الذى يفقد القدرة على حب الآخرين والاستمتاع بصداقاتهم، يجعل من قلبه مرتعا لمشاعر الكراهية والحقد والصراع وبالتالى تصبح ذاته صلبة قفرة تفتقر إلى الخيال الرحب والنظرة الموضوعية والبصيرة العميقة. هذا الإنسان بطبيعته عاجز عن تعمق ذاتية الآخر، أو التعرف فى شخص صديقه على معنى القيم الإنسانية والروحية التى يحملها، وبالتالى يظل دائماً غريبا منعزلا فى صحراء قفراء ليس فيها سوى الفراغ والخواء .. وهذا يذكرنى برواية الروائى الأمريكى المبدع لويد دوجلاس (السحر الأعظم) والتى قال فيها إن الإنسان عندما يعثر على صديق حقيقى فإنه يضيف جزءا حيا إلى كيانه وروحه، وعندما يفقد صديقا فانه يفقد جزءا عزيزا على نفسه يشعر به وهو يقتطع اقتطاعا من كيانه وروحه. وقد جربت هذا بصفة شخصية وبكل المرارة والألم لأننى عندما امنح صداقتى لأى إنسان أمنحها كاملة غير منقوصة بلا تحفظات.. لكننى كثيرا ما فوجئت بمن يخون عهد الصداقة اعتمادا على ثقتى الكاملة فيه.

78وصيتى

وبرغم الخيانة التى تجعلنى أرفض مثل هذه الصداقة رفضا نهائيا وباتا، إلا أننى كنت أشعر بالمرارة فى حلقى والألم فى نفسى لأننى فقدت إنسانا كان صديقى فى يوم من الأيام .

إن الصداقة هى مظهر من مظاهر الأيمان بقيمة الإنسان ، واعتـــراف ضمنى بالامتياز الخاص الذى تتمتع به كل ذات إنسانية على حدة ، أى أن هناك من القيم الإنسانية ما يساوى عدد ما هناك من أصدقاء .

وعلى حين أن الصداقة تريد دائماً أن تفهم نجد أن الكراهية لا تفهم أو تخشى الفهم أولا تريد أن تفهم، لأنها تدرك فى اللاشـــعور أنهـــا لـــو فهمت، لما استطاعت أن تستمر فى تيار الحقد والصراع والانتقـــام، إن الفهم الموضوعى الشامل العميق يتنافى تماما مع وجود الكراهيـــة ذات الأفق الضيق والنظرة أ السطحية.. فالكراهية تضخم من ذات الإنـــسان إلى الدرجة التى تعميه فيها عن رؤية ذوات الآخرين ..فهى قـــد تهـــتم بالتفاصيل والجزئيات، ولكنها تعمى عن رؤية الحقيقة الموضوعية فـــى شمولها .

لكن الصداقة ترى الكليات فى الجزئيات وبالتالى تحـــتفظ لنفـــسها بنظرة ثابتة تستمد ثباتها من موضوعيتها التى لا تميل مع الهوى .

ويتسع مفهوم الصداقة ليشمل الكون كله، فالـــصداقة م " الحقيقيـــة صداقة الحياة .

www.anwarsadat.org

وإذا كانت الأديان السماوية تدعونا إلى المحبة والصداقة والإخـــاء.. فهى لا تقصد بهذا محبة الأخ أو الصديق أو المواطن فقط .. بل محبـــة الإنسان فى كل زمان ومكان . والصداقة الحقيقية بين الشعوب ليـــست سوى الثمرة العملية لهذا المفهوم الشامل للصداقة.. ولنـــا أن نتخيـــل عالما تحكمه مثل هذه الصداقة بين شعوبه. ولما كانت الصداقة م!هـــرا من مظاهر الخصوبة أو الامتلاء من الداخل.. فإن الإنسان لا يستطيعان يحب أو يصادق إلا إذا كان يملك أن يهب أو يمنح. بهذا المعنى يمكننـــا تعريف الصداقة بأنها صورة من صور الإنتاج أو الخلق أو الإبـــداع أو القوة الحقيقية.. وهذا يذكرنا بقول الفيلسوف الألمانى نيتشه فى كتـــاب إرادة القوة .

" إن الفرد القوى بكل معافى الكلمة إنما هو الذى يملك من الـــشفقة والنبل وعظمة النفس ما يجعله يمنح، دون أن يكون الأخذ فى اعتباره فلا تكون صداقته مجرد مظهر من مظـــاهر الرغبـــة فـــى التفـــوق أو الامتياز.. هنا يكون المنح هو النموذج الصحيح لمفهوم الصداقة عنده، وتكون شخصيته الزاخرة بالمثل والقيم السامية المنبع الذى يتدفق منه كل محبة صادقة وصداقة حقيقية."

هنا تتجلى الصداقة الحقيقية، فالصديق الحق لا يحب نظيره فقط ، بل يتجه بصداقته نحـــو سائـــر اخوتـــه فـــى الإنـــسانيـــة وفـــى مقدمتهـــم الضعيـــف .. والغـــريب .. والمسكين وهذه هى أخلاق

القرية المصرية التى تعتبر كل من على أرضها عضوا فـــى أســـرتها . ولذلك رسخت قيمة الصداقة فى وجدانى منذ طفولتى المبكرة فى ميـــت أبو الكوم. وحين أقول الصداقة، فأننى أعنى تلك المعانى السامية التى تربط بين القلوب وينتفى فيها- أساسا- الغرض. لذلك كنت أغضب من كل نفسى حينما أستمع كما يستمع الناس إلى قصص هذه الحياة التـــى تحدثنا عن العبث بالصداقة أو الاستهانة بها بين صديقين، تماما أغضب حينما يعبث بهذه الصداقة فى المحيط الدولى بين دولتين .
ولقد سبق لى أن كتبت فى صحيفة " الجمهورية! فى 13 مارس 1954 حينما كنت رئيسا لتحريرها، قلت :

" تعودت دائماً أن أختزن الألم فى نفسى حين أعانيه. ولقد مرت لى صنوف كثيرة من هذا الألم. تألمت فـــى الـــسجن لأن مـــن حبـــسونى اتهمونى بأننى أتآمر على عميل من عملاء بريطانيا عدو بلادى اللـــدود فعانيت وتحملت ، واتهمتنى رئاسة الجيش ، أيام فاروق أننى خنت عهد ملك بريطانيا حليفة فاروق - وقتذاك- فطردت من الجيش واعتقلـــت ، ومرة أخرى عانيت واحتملت .

6

ولكن شيئاً واحدا عانيته
ولم أستطع أن أتحمله.
ولم أستطع أن اختزنه
فى نفسى فقد كنت أشعر
أنه إذا ما استقر فيها
لابد أن يطمس جمالها،
وأن يعكر صفوها وأن
يزلزل فيها الهدوء
واليقين. ذلك الشىء يا

أخى هو خيانة الصديق أو الزميل. ولقد فتحت لى الآلام التى اختزنتها من داخل نفسى بابا مشرقا رائعا هو التأمل .

تأملت فى هذا الخلق: يحبون ويكرهون، يفرحون ويألمون، يؤمنون وينكرون.. واليوم وأنا أتذكر كل هذا أحس فى نفسى نشوة رائعة حبيبة.. نشوة أجمل من الحب لأنها لا تعرف الكراهية، ولا تأبه للألم.. ولعلها بدء المعرفة. والصداقة- كضرورة أخلاقية- لا تعنى فقدان المعايير الموضوعية والحكم على كل ما يفعله الصديق بأنه صواب.. بل أن الصداقة الحقة تحتم الصدق الموضوعى مع الصديق قبل أى اعتبار آخر، ولو أثارت هذه الموضوعية غضب الصديق لما استحق هذه الصداقة أيضا. فالصداقة لا تعنى الزيف والبهتان

والخداع والتضليل والتحايل، بل تعنى مواجهة الحقائق مهما " كانت مرة.. ثم إصلاحها فى صدق وإخلاص. فمثلا عندما قمت بإنشاء دار جريدة " الجمهورية " فى أواخر عام 1953، دخلت فى دوامة رهيبة بسبب صراع مع القيم البالية التى رسخت منذ صحافة العهود السابقة التى كانت تؤجر للحزب الذى يدفع أكثر. وكانت العلاقات زاخرة بالصداقات الظاهرية التى يتلوها فورا الطعنات من الخلف .

عندما جاءت عملية ترشيح المحررين أدركت مدى الحضيض الذى بلغته صحافتنا. فكلما رشح لى البعض أسماء معينة أبدأ فى السؤال عن أصحابها، فاسمع بعد السؤال طعنا شديدا فى أصحاب هذه الأسماء .. كان يرشح مثلا خمسة. فاسمع طعنا فى أربعة وفى اليوم التالى أسمع طعنا فى ثلاثة ثم فى اثنين .

وعرفت حقيقة مخزية، عرفت أن كل إنسان منهم يكره الآخر، وإن لم يكن يعرفه المسألة كانت محنة أخلاقية تمر بها صاحبة الجلالة ولم أكن أفى رى فى تلك الأيام! هل المسألة هى أننا نكره الخير لبعضنا أم المسألة أعمق من هذا؟ على أية حال ا لقد استمعت إلى أراء كثيرة فى أناس كثيرين ولم تكن كلها صحيحة أو لوجه الله !

www.anwarsadat.org

وكانت أسرة التحرير فى أثناء هذه العمليات المتشابكة المعقدة العديدة تكبر ويزداد عدد أفرادها وعندما بدأنا نعد التجارب أى "البروفات " اكتشفت مسألة خطيرة تتصل بعلاقات الزملاء بعضهم ببعض. فهذا لا يحب ذاك. والثانى لا يستلطف دم الثالث. وجعلت من مسألة تسوية الحلافات بين أفراد أسرة التحرير جزءا من عملية أعداد الجهاز الكبير- لكن تبين لى أن بعض المحررين- وكانوا من أصدقائى- قد فهموا أن أنور السادات- صديقهم- يجب أن يضعهم فوق رأس الجميع وكانوا مخطئين ولكى لا تحدث مأساة تؤثر فى سير العمل اضطررت إلى الضرب بشدة، وبقسوة لكى أثبت للزملاء جميعا أن الصداقة شىء والعمل شىء آخر. فأنت صديقى وهذا شىء لا خلاف عليه ولا أنكره.. أما أنك تملك كفاءات لا وجود لها عند الآخرين، فذلك يحتاج منك إلى دليل. والصداقة ليست دليلا على الكفاءة .

84وصيتى

7

هكذا كان موقفى مع أصدقائى، كان حتما على أن أعطيهم درسا ما كان أغناهم عنه، لو كانوا قد آمنوا بالعمل ، لا بالعواطف، فالتوازن بين العقل والعاطفة ضرورة يحتمها النضج الفكرى للإنسان. فالصداقة وإن كانت فى أساسها عاطفة من أحمى العواطف الإنسانية إلا أنها فى حاجة

إلى سياج عقلى يحميها مـــن شـــطحات العاطفـــة. ولعـــل المقـــاييس الموضوعية خير حماية " للصداقة الحقة القادرة على اجتيـــاز اختبـــار الزمن.

وفى نفس الوقت فإن الصداقة تستطيع أن تمـــنح هـــذه المقـــاييس الموضوعية الكثير من العلاقات الإنسانية واللمحات الخصبة التى تحيل جفاف العمل وصرامته إلى متعة يشارك فيها كل الأصدقاء والـــزملاء، وبذلك يزداد الإنتاج بازدياد روابط الصداقة ومتانتها .

وفى اعتقادى أن الصداقة كانت السياج المتين الذى احتفظ بتماســـك الضبـــاط الأحـــــرار وصلابتهـــــم إلـــى أن قامـــــت الثـــورة فى 23 يوليـــــو سنـــة 1952. فقـــد أضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من

www.anwarsadat.org

شباب مصر، عاشوا سنوات عديدة قبل الثورة مجتمعين تحت راية المبادئ الستة التى أعلنوا عنها عند قيام الثورة. وقد تبينت قيمة الصداقة التى جمعت لن هؤلاء الثوار حينما دقت الساعة وحانت اللحظة الحاسمة التى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة بين النجاح والفشل أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادئ وأعواد المشانق ، فكانت وقفتهم صفا واحدا ، وكتلة متراصة هى حجر الزاوية فى نجاح الثورة.

لقد اجتمعوا قبل الثورة على مبادئ لا علاقة لها بالأشخاص وكانت صداقتهم بهدف حبهم لمصر أولا وأخ!!، ولا صلة لها بالرابطة التى كانت تجمع الأحزاب المنحلة، رابطة المبادئ المجردة من المطامع والأسباب. لا يسهل فكها ولا يمكن أن تنفصم مهما يحدث من خلاف أو تعارض بين وجهات النظر، ذلك لأن جوهر الحلاف لا يتعلق بنزاع على مغنم أو تهافت على منصب. قد يحدث، بل لابد أن يحدث بين أفراد أية جماعة من م الأصدقاء، تباين فى زوايا النظر إلى مسألة معينة أو أكثر، ولكن هذا التباين بين أصدقاء حقيقين لا يمكن أن يفض ما بينهم من رباط مقدس، فهذا الرباط هو الجوهر النقى الطاهر الذى لا تنفصم عروته، وأما الخلاف وتباين وجهات النظر فهو عرض لا يمكن أن ينال من روعة الجوهر .

وإذا كانت المبادئ الموضوعة تعتمد أساسا على العقل ، فإن الصداقة الأصيلة تنهض على العاطفة والعقل فى آن واحد. من هنا كانت الصداقة هى الضمان الرئيسى للحفاظ على أواصر العلاقة بين الزملاء إذا حدث اختلاف فى الرأى حول المبادئ . فقد يجتمع الناس حول مبادئ ، حول نظريات يقرءونها ويعتنقونها أو أفكار يبشر بها دعاتها. وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبادئ والنظريات والأفكار غايته، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته وما بعد الذروة أن صح هذا القول، ولكن هذه المبادئ والنظريات قد تتعرض للجدل فتتعرض الجماعة للانقسام وقد يتفاقم الجدل فينحرف عن الآراء إلى أصحابها وتبرز الأشخاص وتختفى الآراء، وتتلاعب أهواء النفوس، ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه. هنا يبرز رباط القلوب وقيمته فى الحفاظ على رباط العقول من أن ينفصم. لأن الصداقة تمنح بعدا آخر للتفاهم وتعمقه. فالأصدقاء خير من يفهم بعضهم البعض بحكم التوافق فى المشاعر والأهداف والحرص على أواصر هذه الصداقة من أن تنفصم لأن من السهل على الإنسان أن يتخلص من الرابطة العقلية ولكنه من الصعب عليه أن يتخلص من العلاقة العاطفية المترسبة فى الوجدان والشعور.

لست أكتب هذا غضاً من قيمة المبادئ والنظريات .
فما استحق الحياة من لا مبدأ له، يعيش من أجله. ولكننى فقط أرى أن المبادئ وحدها لا تكفى لأن الرباط الذى يربط العقول لا يستطيع دائماً أن يربط القلوب، وأن يذيب الهوى ويقتل الأطماع. ولذلك تعد الصداقة – فى تقديرى– ضرورة أخلاقية بجب التأكيد عليها دائماً ليس فقط بين الأصدقاء ولكن على جميع المستويات فى المجتمع فإن وجودها سيشغل فراغا من المحتمل أن يزخر بالسلبيات والمؤامرات والدسائس فى حالة غيابها. فإن كانت علاقة العقول ترتبط بالمصلحة وما ينتج عنها من ذاتية قد تبلغ حد الأنانية. فإن صداقة القلوب يمكن أن تحد من أثره الأنا وأنانية الذات بحيث يستطيع الإنسان أن يخرج من ذاته ويرى الأشياء بموضوعيه أكثر وأعمق. هذه الموضوعية هى الشرط الأول والرئيسى لتقدم الأمة بصفة عامة. واليوم الذى ينظر فيه كل مواطن إلى زميله فى نفس الوطن على أنه صديق وأخ حتى بدون أن يعرفه شخصيا، هذا اليوم سيكون بمثابة فجر التقدم الحضارى الحقيقى.

الفصل الخامس

الروح والعقارى والجسم

www.anwarsadat.org

1

حتى يعيش الإنسان فى توازن سليم لابد وأن يحصل علـــى تعـــادل دقيق بين العقل والجسم والروح.. فإذا اختل هذا التوازن بين العناصـــر الثلاثة فسوف يهتز الإنسان فى حياته وسلوكه وبالتالى فى كل القرارات التى يتخذها.

هذه اللمحة التى أذكرها الآن قـــد تكـــون شخـــصية بحتـــة، ولكـــن لارتباطها. الوثيق بمفهومى للتوازن بين الروح والعقل والجسم رأيـــت أن أتحدث عنها حتى أسجل الخلفية الفكرية والوجدانية التـــى واكبـــت لحظات ما قبل الثانية بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر 1973.

عندما استيقظت صباح 6 أكتوبر 1973 وأديت التمرينات الرياضـــية لكى أعطى جسمى حقه.. كان عقلى فى منهى النشاط والراحة وعلـــى استعداد تام لتحمل مسئوليات اليوم الجديد.. فعندما يحصل الجسم على لياقته فإن هذا ينعكس بلرره على العقل لأن العقل السليم فـــى الجـــسم السليم- أما روحى فكانت فى شبه صلاة صامتة من أجـــل اليـــوم الذى

سنحطم فيه جدار الصمت والخوف والرعب والانهزامية.. لقد عقدنا العزم على اجتياح كل ما يعوق مسيرتنا وليكن ما يكون. فقد كانت حساباتى تدل على أن المكسب لنا مهما١ كانت النتيجة.

هذا نموذج عملى من حياتى يدل على ضرورة التوازن بين الروح والعقل والجسم فى حياة الإنسان.. وعندما ينطلق الفكر إلى مراجعة وسرد تفاصيل الواقع الذى خضته أحس بالإشفاق على نفسى.. فقد تحملت فى شبابى مسئولية اتخاذ قرارات وطنية كثيرة، ولكن على قدر ما كانت هذه القرارات ! تمثل عمليات خطيرة إلا أن مسئوليتها كانت دائماً محصورة فى الأفراد القلائل الذين يشتركون فى تنفيذ القرار.. وكان أثرها هو المساهمة فى العمل الوطنى لا أثرا يتعلق به مصير مصر كلها.. وبعد الثورة أصبحت مسئوليتى أقرب إلى مجرد إبداء الرأى وإلى المساهمة فى تنفيذ ما يصدره مجلس قيادة الثورة من قرارات حتى انتهاء عمله عام 1956 بعد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية ثم مشاركتى وصحبتى لجمال بعد ذلك. إلى أن أصبحت مسئولية إصدار القرارات هى مسئوليتى.. وفرق كبير بين مسئولية إبداء الرأى ومسئولية اتخاذ القرارات. إن مسئولية إبداء الرأى تنعكس عليك وحدك، ومسئولية اتخاذ قرار تنعكس على الأمة كلها.

وقد عانيت وتحملت كثيرا قبل إصدار كل قرار، ولم يكن

ما أعانيه هو تحديد الموقف الذى اتخذه فى مواجهة الحدث أو الواقع الذى يواجهنى، ولكن ما كنت أعانيه هو اتخاذ القرار الذى يعبر عن هذا الموقف.. هل هذا هو القرار الصحيح أم قد يكون قراراً خاطئا هل ظلمت أحدا أم كنت محقا وكنت أقضى أياما وليالى طويلة منعزلا صامتا حتى يخيل للبعض أن ليس هناك مشكلة تشغلنى، ولكننى كنت فى هذه الأيام والليالى أعانى أصعب ما يحتاج إليه إنسان مسئول، وهو إقناع النفس إلى أن يصل إلى رضاء الضمير.. وكان رائدى فى هذا المجال هو التوازن الدقيق بين الروح والعقل والجسم.

كان هذا هو الأساس الذى أعتمد عليه قبل مواجهة أمتى بالقرار الذى اتخذته.. إقناع نفسى وارضاء ضميرى.. وهذه قمة الراحة النفسية التى يمكن بها أن تتحمل كل ما يعترضك من صعاب والتى تستطيع بها أن تصر على موقفك وقرارك مهما تجمعت القوى ضدك حتى لو ضحيت بنفسك فى سبيل قرارك .

وقد تحملت المسئولية بعد عبد الناصر ومصر كلها ضائعة ممزقة.. الأرض ضائعة والحكم ضائع بين عدة قوى متصارعة، وقوة إسرائيل تقف أمامنا على الضفة الشرقية للقناة، وقوى أجنبية تحاول أن تفرض علينا وصايتها وإرادتها، والفقر يجثم على كاهل كل مصرى.. إننا نكاد نستجدى السلاح ، بل نستجدى لقمة العيش وهنا كانت تبرز قيمة

الجانب الروحى فى حياتى لتنتشلنى من كل هذا الخضم يارب كيف أواجه كل هذا .

يارب لا تحملنى أكثر مما أطيق.

يارب لا تحمل على أصرا حملته على الذين من قبلنا رب إنى أعيش بما قدرته لى فأعنى ولا تتخل عنى.

كنت أتوجه إلى الله وأنا حائر: من أين ابدأ وكيف

إلى أن استعجلت مراكز القوى عملية الصراع فكان أن اتحد أول قرار رئيسى وهو تصفية مراكز القوى المتصارعة تعمل لتحطيم الحكم ووقف المسيرة.. ولم يكن هذا سهلا.. إن أصعب ما يواجهك عندما تستغنى عن خد شخص هو اختيار من يحل محله بحيث لا تترك المركز فارعا ولو ليوم واحد، ثم القدرة على أن تتخذ موقف القاضى وتصدر حكمك بالإدانة وأنت مقتنع بحكمك مستريح الضمير حى كان هذا الشخص قد بمبق أن عرفته وعملت معه.. وخلصا مثل هذا القرار وحده كثيرة وذات أبعاد متشعبة تعو سنوات طويلة قبل أن أتحمل المسئولية كاملة.

ثم كانت معاناة أخرى أقسى وأشد تحملتها مع كثر الجهد فى البحث عن الطريق الصحيح إلى أن اتخذت الرئيسى الثانى.. وهو الاستغناء عن الخبراء السوفييت . عشت شهورا وأنا متردد أحاسب نفسى قبل اتخاذ هذا القرار

فمصر فى حاجة إلى صداقة الاتحاد السوفيتى.. فهل أستطع أن أطور أسلوب وخطوط هذه الصداقة مع الاحتفاظ بها؟ وقد كان هناك ما هو أقوى من ترددى، كان الأقوى هو إحساسى الوطنى بمصر. ولا أستطع أن أكون ابنا لمصر يتحمل مسئوليتها ومصر تواجه الصلف الإسرائيلى على جزء من أراضيها دون أن نتحرك ودون أن نحارب. ولهذا اتخذت قرار الاستغناء عن الخبراء السوفييت بخلفياته الحساسة الرهيبة لكى أحارب وأنا كامل الاقتناع مرتاح الضمير. ومرة أخرى كان التوازن بين الروح والعقل والجسم هو الصخرة العتيدة التى أصدرت من عليها القرار الخطير وأنا مرتاح الضمير.

ثم اتخذت قرار الحرب.

إن أحدا لا يستطيع أن يقدر المعاناة التى يتعرض لها المسئول عن اتخاذ قرار الحرب، ولقد عشت حياتى كضابط يعيش الحرب أو يعد نفسه للحرب، واتخذت بعيدا عن الجيش قرارات لعمليات وطنية تقوم على إطلاق النار ولكن كل هذا لا يقاس بمسئولية اتخاذ قرار حرب تشمل الأمة كلها.. والجيمى كله، إن كل فرد سأدفعه بيدى إلى خط النار، وكل فرد قد يصبح شهيدا أصبح أخى عاطف .. ثم من يضمن نتيجة هذه الحرب؟ لا أحد يستطيع أن يضمن نتيجة أى حرب.. الله وحده.. ورغم ذلك فهناك دائماً الدافع الأقوى من كل شىء .. دافع الإحساس بمصر وما تريده

مصر.. وإثبات وجود مصر .. مصر لا تزال تعيش و لا تزال قادرة على الحرب ولقد كنت وما أزال أثق ثقة كاملة فى قواتنا المسلحة.

وبعد تحليلى الدقيق لمعركة 1967 بكل ما فيها من مرارة أصـــبحت أثق ثقة كاملة فى أن قواتنا المسلحة كانت ضحية من ضحايا الهزيمـــة وليست أبدا سببا لها.

وقد اكتشفت هذه الحقيقة ليس فقط من فوق أرض المعركة، وإنمـــا أيضا من على أرض الوطن كله.. وكان هذا الدافع وحده هو ما يؤيـــد قرار الأعداد للحرب وهو الذى دفع رجالنا إلى الحرب وكأن كلا منهم قد اتخذ القرار بنفسه. فكل منهم يحارب لأنه يريد الحرب لا لأنه ينفذ قرارا بالحرب وكان هذا هو ما حقق معجزة العبور.

www.anwarsadat.org

2

فى كل هذه القرارات المصيرية كان سندى الرئيسى هــو التــوازن الدقيق بين روحى هــ عقلى وجسمى.. لم أكن أهمل أى عنصر من هذه العناصر الثلاثة الحيوية حتى فى أحلك الظروف وأشد الأزمات.. وكيف أهملها وهى القنطرة الوحيدة التى سأعبر من فوقها المحنة أو الأزمة؟ .. لقد ثبت لى بالتجربة العملية أن بناء الإنسان لن يتأتى أو يتكامل إلا بتدريبه على ممارسة هذا التوازن الدقيق بين الروح والعقل والجسم.. وقد كلمت فى الفصل السابق عن الأيمان كغذاء للــروح، والآن حــان الوقت للتكلم عن الغذاء الذى يتحتم على العقل والجسم الحصول عليه.

لا شك أن العلم والثقافة هما غذاء العقل، ولذلك أكدت فى (ورقــة أكتوبر) عليهما كهدفين متلازمين، خاصة أن أهم ماطرأ على منطــق التعليـــم والتثقيـــف فـــى عالمنـــا المعاصـــر هــو زوال المسافـــة بين الفكـــر والعمـــل .. وبالتالى لم يعد التعليم مسألة

مقررات دراسية جامدة بحيث تقف مهمة التعليم عند استيعاب الطالــب لها.. ولكن أصبح التعليم مرتبطا ارتباطــا عــضويا بحركــة المجتمــع ومتطلباته.. ويعنى ذلك أنه آن الأوان للعقل المصرى لكى يربط بين ما

يتلقاه من تعليم وتثقيف ش وبين ظروف المجتمع الذى يعـيش فيـه ، وبالتالى فإن التعليم والتثقيف العام صار لهما هدفان متلازمان .

الأول: هو ايجاد الفرد المتعلم المستنير بحيث يكون اكثر فهما واتـساقا مع مجتمعه وعصره.. وأكثر قدرة على استيعاب ثمار المعرفة الإنسانية والاستمتاع بها، وأكثر تفهما للقضايا العامة فى بـلاده وفـى محيطـه وبيئته التى يعيش فيها .

الثانى : هو تزويده بخبرة متقدمة محددة تمكنه من القيام بالدور الـذى يتناسب مع هذه الخبرة فى شتى مواقع العمل والإنتاج فى بلاده .
وتحقيق هذه الغاية يستلزم عدة أمور منها عدم صب التعليم فى قوالب واحدة بل العمل على تنويعها قدر الإمكان حتـى تلبـى شـتى أنـواع الخبرات والتخصصات والمهارات المطلوبة فى عمليـة التنميـة التـى تنهض بها على جبهة عريضة .. منها ربط أنواع ومراحل معينة مـن التعليم بالبيئة.. سواء أكانت الريف ام الحضر.. الحقـل أم المـصنع.. فبـذلك لا نعانـى مـن الارتـداد إلـى الأميـة حيـن ينفصـل الطالـب عـن المدرسـة ويعـود إلـى

بيئته . و بالمثل لا نعانى من الوجه الآخر للمشكلة ، وهو هجرة المتعلم من بيئته وبالتالى افتقار هذه البيئة دائماً من مردود انتشار التعليم فيها .

ويؤدى هذا بدوره إلى توثيق الصلة بين الجامعات والمعاهد على اختلافها ولنن مواقع العمل ذات الصلة بتخصصاتها من مؤسسات وشركات إنتاجية أو تجارية وغيرها فى عالم تلعب المعرفة فيه دورا متزيدا فى تطور القدرة الإنتاجية. كذلك يتحتم علينا القضاء على فكرة الفارق الاجتماعى بين تعليم وتعليم، فبهذا نسد حاجة البلاد إلى كل المهارات والخبرات ونعلى قيمة العمل بوصفه القيمة الاجتماعية الأولى، ونتخلص من ذلك المرض الوبيل الذى يجعل التعليم بالنسبة للكثيرين مجرد سبيل إلى اكتساب ميزة اجتماعية معينة ويجعل الهدف الاسمى لبعض المتعلمين الوصول إلى وظائف مكتبية، بصرف النظر عن قيمتها فى حركة المجتمع.. فقد أصبحت المسألة مجرد الحصول على دخل شهرى مستقر، ومكانة اجتماعية مقبولة ولم تعد تمت إلى التنمية العقلية والفكرية بصلة.

وقد لا يعلم الكثيرون فى مصر أن من أهم ما طرأ على !طق التثقيف والتعليم فى العالم المعاصر هو ما اصطلح على تسميته بنظرية التعليم المستمر.. ففى هذا العصر الذى ينطلق فيه التقدم العلمي والفنى والتكنولوجى على نحو مذهل ، هذا العالم الذى كثيرا ما تصبح الآلة فيه قديمة متأخرة بمجرد الانتهاء

من صنعها لظهور ما هو أحدث منها . فى هذا العصر صار محتما على العناصر النشيطة والمنتجة فيه أن تكون فى حالة من التعليم المتواصل والتثقيف المستمر.. وبغير ذلك لا يلبث المتعلم أن يتخلف عن الجديد، مهما كانت درجة الخبرة والثقافة التى حصل عليها من خلال دراسته.
وتحقيق هذه الغاية يستلزم بدوره عدة أمور منها:

الاستفادة بثروة المعلومات فى العالم. وجعلها دائماً فى متناول كل اش اغبين عن طريق تحديث المكتبات العامة ومكتبات الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث ومراكز الإطلاع وتسهيل استيراد أحدث الكتب والمجلات والدوريات واعطائها الأولوية المناسبة لها.

ومنها حلقات الدراسة وبرامج التدريب المستمر على كافة المستويات من المديرين للإلمام بأحدث فنون الإدارة، إلى المدرسين أنفسهم لتأهيلهم فى المساهمة فى تطوير المناهج وطرق التدريس إلى التدريب المهنى المستمر فى شتى فروع العمل لرفع الكفاءة الإنتاجية .

ومنها أيضا استخدام وسائل التثقيف العامة فى تقديم برامج دراسية حرة فى الفروع المختلفة .

وفى هذه المجالات كلها لابد من استخدام كل وسائل العلم الحديث فى جع المعلومات وتخزينها وتوزيعها.. وفى الارتقاء بمستوى مـــا يقـــدم للطالب فى المدرسة أو المعهد أو الجامعة. ويأتى فى قمـــة هـــذا كلـــه ضرورة الاهتمام بمراكز البحث العلمى والتكنولوجى المتقدمة.

لقد قلنا أكثر من مرة أننا يجب أن ندخل عصر العلم والتكنولوجيـــا. وقد أثبتت قواتنا المسلحة أنها قادرة على ذلك وعلى مستوى بـــاهر.. فليكن ما أحرزته فى هذا الشأن مثلا يحتذى به فى كل المجالات.. وإذا كنا نعيش فى فترة تعتمد أساسا على العلم والتكنولوجيا المستوردة فأنه من الواجب ألا نطمئن إلى العيش على ما ينتجه الغير فى هذا الصدد.

أن مصر تضم عددا لا يستهان به من الباحثين العالميين ومن مراكز البحث العلمى ونحن فى هذا المجال نحتل مركزا ممتازا بـــين الـــشعوب النامية.. وإننى لأعتبر الأنفاق على البحث العلمى والتكنولوجيا بمثابـــة الاستثمار فى صناعة ثقيلة.. لأنه استثمار لا يساعد فقط على التنميـــة فى المستقبل القريب.. ولكنه يضمن استمرارها وتصاعد معدلاتها فـــى المدى الطويل.. ولكنه كأى استثمار يجب أن يرشد والترشيد يعنى أولا التنسيق بين مراكز البحث العلمى المختلفة والربط بينها فئ اســـتخدام وسائل البحث التى تتيحها إمكانياتنا وهو يعنى ثانيا هـــ بـــط نـــشاطها باحتياجات المجتمع لتأخذ من تلك الاحتياجات مادتها وليستفيد المجتمع من عائدها .

من صنعها لظهور ما هو أحدث منها . فى هذا العصر صار محتما على العناصر النشيطة والمنتجة فيه أن تكون فى حالة من التعليم المتواصل والتثقيف المستمر.. وبغير ذلك لا يلبث المتعلم أن يتخلف عن الجديد، مهما كانت درجة الخبرة والثقافة التى حصل عليها من خلال دراسته.
وتحقيق هذه الغاية يستلزم بدوره عدة أمور منها:

الاستفادة بثروة المعلومات فى العالم. وجعلها دائماً فى متناول كل الراغبين عن طريق تحديث المكتبات العامة ومكتبات الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث ومراكز الإطلاع وتسهيل استيراد أحدث الكتب والمجلات والدوريات واعطائها الأولوية المناسبة لها.

ومنها حلقات الدراسة وبراج التدريب المستمر على كافة المستويات من المديرين للإلمام بأحدث فنرن الإدارة، إلى المدرس!ت أنفسهم لتأهيلهم فى المساهمة فى تطوير المناهج وطرق التدريس إلى التدريب المهنى المستمر فى شتى فروع العمل لرفع الكفاءة الإنتاجية.

ومنها أيضا استخدام وسائل التثقيف العامة فى تقديم برامج دراسية حرة فى الفروع المختلفة .

وفى هذه المجالات كلها لابد من استخدام كل وسائل العلم الحديث فى جمع المعلومات وتخزينها وتوزيعها.. وفى الارتقاء بمستوى ما يقدم للطالب فى المدرسة أو المعهد أو الجامعة. ويأتى فى قمة هذا كله ضرورة الاهتمام بمراكز البحث العلمى والتكنولوجى المتقدمة.

لقد قلنا أكثر من مرة أننا يجب أن ندخل عصر العلم والتكنولوجيا. وقد أثبتت قواتنا المسلحة أنها قادرة على ذلك وعلى مستوى باهر.. فليكن ما أحرزته فى هذا الشأن مثلا يحتذى به فى كل المجالات.. وإذا كنا نعيش فى فترة تعتمد أساسا على العلم والتكنولوجيا المستوردة فأنه من الواجب ألا نطمئن إلى العيش على ما ينتجه الغير فى هذا الصدد.

أن مصر تضم عددا لا يستهان به من الباحثين العالميين ومن مراكز البحث العلمى ونحن فى هذا المجال نحتل مركزا ممتازا بين الشعوب النامية.. وإننى لأعتبر الأنفاق على البحث العلمى والتكنولوجيا بمثابة الاستثمار فى صناعة ثقيلة.. لأنه استثمار لا يساعد فقط على التنمية فى المستقبل القريب.. ولكنه يضمن استمرارها وتصاعد معدلاتها فى المدى الطويل.. ولكنه كأى استثمار يجب أن يرشد والترشيد يعنى أولا التنسيق بين مراكز البحث العلمى المختلفة والربط بينها فئ استخدام وسائل البحث التى تتيحها إمكانياتنا وهو يعنى ثانيا ربط نشاطها باحتياجات المجتمع لتأخذ من تلك الاحتياجات مادتها وليستفيد المجتمع من عائدها .

ومن ناحية أخرى يجب أن يستهدف البحث العلمى والتكنولوجى لتطويع التكنولوجيا المستوردة للواقع المصرى.. وأن يكشف حلولا أصيلة لمشكلاتنا المحددة.. تماما مثلما فعلت قواتنا المسلحة فى تطويع وتطوير السلاح وفى ابتكار أساليب مواجهة معركتنا بسماتها الخاصة. ثم يكون طموحنا بعد ذلك أن ندخل ميدان البحث العلمى والتكنولوجى كشركاء نأخذ ونعطى فلا نعيش عالة على من يبتكرون أو نخضع للشروط التى يفرضونها.

أننى لأتمنى فوق جهدنا المصرى الخاص فى هذا المجال.. أن تتم جهود عربية مشتركة يمكنها أن تعطى التقدم الذاتى فى هذا الميدان دفعة قوية .

www.anwarsadat.org

3

!قد عاش العالم عدة قرون كان العرب يملكون فيهـا ناصـية العلـم.. وكانت أوروبا تنقل عنهم .. وقد ظلت كتب المـؤلفين العـرب تتـرجم إلى!اللاتينية وتدرس فى الجامعات الأوروبية حتى ا اقرن السابع عشر. ومعنى ذلك أن الإنسان العربى قادر على الإنتاج الأصيل إذا تهيأت لـه الظروف المواتية.

إن هذا كله يستهدف فى النهاية استعادة العقل المـصرى لأمجـاده القديمة. كما يستهدف تنمية قدرات الإنسان المـصرى تنميـة ثقافيـة وعلمية وفكرية واجتماعية ترفع من قيمة ما يمكن أن يقدمه لبلاده من عمل.. هذا على مستوى الدولة أو المجتمع.. أما على مستوى الفـرد فتقع على كاهله مسئولية تثقيف نفسه بنفسه تثقيفا مـستمرا لأنـه لا يعقل أن تظل الدولة تلقنه المعرفة إلى الأبد وإن كان يتحتم عليهـا أن تيسر له وسائل المعرفة وسبلها من كتاب أو إذاعة صوتية أو مرئية أو سينما أو مصرح. فالثقافة مثل الماء والهواء. ملك للجميع، ومن أرادها فلن يقف أمامـه أى عائـق اقتصادى أو اجتماعى أما عن خبرتى وصيتى104

الشخصية فى هذا المجال فكنت أحصل على الثقافة من أى سطر تقـع عليه عيناى حتى ولو كان فى رواية أو قصة لمجرد التسلية../ من هنا كان إصرارى على أن آخر ستة أشهر قضيتها فى السجن تعـد أعظـم

فترة فى حياتى حتى الآن.. ذلك لأنه سمح لنا فى تلك الفترة بـــالقراءة والاطلاع مما اتاح لى فرصة الارتفاع فوق اعتبارات المكـــان وقيـــود الزمان وتحولت بذلك الزنزانة 54 فى! سجن مصر (قره ميـــدان) إلـــى عالم رحب شاسع لا تحده أية أ سوار.

لكن الشىء المؤسف حقيقة فى حياتنا أننا أصبحنا شعبا غير قارئ.. فالكتاب لا يلعب فى حياتنا اليومية الدور الذى يلعبـــه عنـــد الـــشعوب المتحضرة الأخرى.. وعلى الرغم مـــن انتـــشار المـــسرح والـــسينما والتليفزيون والإذاعة.. إلا أن الكتاب مازال و ســـيد أدوات المعرفـــة.. فهو خير جليس فى هذا الزمان كما تعلمنا فى صبانا.. لكننا ننـــسى أو نرفض مجالسته لأننا نفضل عليه ا الثرثرة فى موضوعات لا يمكـــن أن تعود علي بالنضوج العقلى والنمو الفكرى.، وبينما الـــشعوب الأخـــرى تتفنن فى كيفية استغلال الوقت خاصة وقت الفراغ.. نتفنن نحـــن فـــى كيفية قتله على الرغم من أن الوقت هو الحياة نفسها.

ولعل العلاج السريع لهذه الظاهرة يكمن فى اللجـــوء إلـــى وســـائل الإعـــــلام التى تعتمـــــد علـــــى التسليـــة فـــــى تقديـــــم مادتهـــا الثقافيـــــة مثـــل التليفـــزيون والإذاعة.. فإذا كنا نستثقل أن نقرأ كتابا

للأسف، فمن السهل علينا أن نستمع إلى الإذاعة أو نشاهد التليفزيون. هنا يكمن الدور الحيوى لهذه الوسائل الإعلامية التى لا يدفع الجمهور فيها شيئاً سوى لمن التيار الكهربائى.. وهذا يدعونا إلى الإكثار من المواد الثقافية التى تقدم للجمهور.. قد تكون المسألة ثقيلة عليه لأول وهلة بحكم عدم تعوده على الثقافة العميقة.. إلا أن الثقافة فى أساسها تربية.. وبمرور الوقت ستتحول إلى عادة يومية عند الأفراد بحيث يدفعهم هذا فى نهاية الأمر إلى أن ينهلوا من ينابيعها الأصيلة وعلى رأسها الكتاب.

تكمن خطورة الثقافة فى أنها ليست لمجرد التزود بالمعرفة والمعلومات ولكنها الوسيلة الحقيقية لاكتشاف الذات،. وقد مررت بهذه التجربة فى السجن.. كنت قبل دخوله غارقا فى دوامات الحياة حتى أذنى . ولم تتح لى الفرصة التى أتعرف فيها على ملامح ذاتى وكيانى إلى أن جاءت تجربة السجن ب!!ل رهبتها ومعها الفرصة لقراءة واستيعاب كل ما تصل إ امحيه يداى. قرأت فى شتى أنواع المعرفة ب!ثم لا يعرف لنفسه حدودا.. ومن خلال قراءاتى كنت أقرأ. نفسى وذاتى.. منذ تلك الأيام التى وضعت فيها اللمسات الأخيرة لمنهجى الفكرى فى الحياة. فقد اسطعت التوصل إلى ذلك التوازن الدقيق بين الروح والعقل ش الجسم.. فهذا التوازن لا يمكن أن يبلغه الإنسان إلا عندما يدرك ذاته.. وإدراك الذات لا يتأتى إلا بالتثقيف الشامل

العميق، أما غير ذلك فسيظل الإنسان يأخذ الأمور بظواهرها. وبالتالى سيظل يتخبط فى دروب الحياة لا يعرف لخطوات أقدامه موقعا.. إن شر ما يصاب به إنسان ذو مثل عليا هو الانحطاط العقلى فالقراء! والاطلاع ألزم للفرد من ! الطعام فى هذا العالم الذى اتصل قاصيه بدانيه .

ونحن لا!نستطع أن ننكر أنه من إيجابيات ثورة 23 يوليو 1952 أنها حررت الثقافة من السيطرة الاستعمارية وأعادت صلة المثقف المصرى بتاريخه الحضارى الطويل وكشفت له عن أمته العربية وثقافتها الغنية وإمكانياتها الواسعة، وفتحت أمامه كل النوافذ عك الثقافة العالمية بعد أن كان النفوذ الاستعمارى يحصره فى قنوات معينة.. كما حررت ، الثورة الثقافة من الطبقية بعد أن وسعت قاعدة التعليم وجعلت المدخل الوحيد إليه- أى إلى التعليم- هو القدرة الذهنية على التحصيل والدراسة، وهكذا وصل أبناء الفلاحين والعمال إلى أعلى مراحل التعليم ولم تعد المعرفة احتكارا لأولى الثروة.. ولم تعد البلاد تحرم من كفاءات أبنائها لمجرد عجزهم عن تحمل مصاريف التعليم.، شجعت الدولة التفوق والدراسة والبحث العلمى وهيأت السبل حتى فى المجالات المتقدمة، وأفردت لذلك الجوائز وجعلت للعلم عيدا فى كل عام.. وقد حظى الكتاب والمسرح ، والموسيقى والسينما والفنون التشكيلية بمختلف أشكال التشجيع وفى مقدمتها تمويل الأعمال الفنية الهامة وإنشاء معاهد الفنون

وتنظيم منح التفرغ للإنتاج الأدبى والفنى.

ويتحتم على ثقافتنا أن تكون مستمدة أصلا من تاريخ هذه الملايين.. من نضالها ومن واقعها ومن مصالحها وتن حضارتها ومن أدبها ومن فنها، ثم لكى تصبح ثقافة واعية متقدمة ومتطورة يتحتم أيضا أن تكون مرتبطة بثقافة ووعى البشر جميعا... نحن نرفض المفهوم الضيق للتعليم والتثقيف وهو المفهوم الذى حرص على ترسيخه فى مصر ممثل البيداجوجيا الإنجليزية دانلوب أيام الاحتلال البريطانى والذى جعل الهدف الاسمى للتعليم هو إخراج موظفين كتابيين للوظائف الحكومية التى تخدم الاستعمار بطبيعة الحال.. لذلك توارت الثقافة المصرية الأصيلة فى الظل بعض الوقت .

وقد يفهم الشباب أن المقصود بالثقافة هو التعليم فى المدارس والجامعات إن الفرق بين الثقافة والتعليم شاسع هائل.. فالإنسان المثقف هو الذى يعرف الطريق إلى الحياة.. إلى الحرية والعدل والحق..؟ يعرف وسائل الانطلاق فى ذلك الطريق، أما المتعلم فهو الذى يدرس لكى يحترف عملا يرتزق منه .

فالثقافة بشقيها الأصيل والمعاصر هى التى تحدد مقدار وعى الإنسان بالمجتمع والكون حوله، ومن ثم تلزمه بشق الطريق الخاص به نحو مستقبله الذى هو مستقبل المجتمع فى نفس الوقت.. فهذا المستقبل يتحدد بالحدود التى تحقق مصالحه

وحرياته وآماله بل وحقوق ومصالح وآمال الجماهير.. والثقافة سلوك كما هى معرفة أيضا.. وهذا يذكرنا بفيلسوفنا العظيم أبن مسكويه الذى كان الكتاب بالنسبة له " ينبوع الثقافة " و" المعلم " و" الجامعة " التـــى تربى فيها.. يقول فى احدى قصائده مشيدا بقيمة الكتاب:

فإن تمنيت عيش الدهر أجمعه وإن تعاين ماولى من الحقب فأنظر إلـــى سير القوم الذين مضوا والحظ كتابتهم من باطن الكتب .

www.anwarsadat.org

4

لا شك ان كل الفضائل الإنسانية والمثل الأصيلة تنبع مـــن الثقافـــة الحقيقية، والأفق الواسع والنظرة الشاملة والبصيرة النافذة، إن المسألة فى رأى لا تخرج عن نطاق الثقافة. فالرأى الصادق نتاج طبيعى لثقافة صاحبه أو لا تجاهه نحو الثقافة إذا كان قد بدأ يؤمن بها.

وإ ا، لكان !صحاب ا الآراء غير الصادقة جبنـــاء رعاديـــد تـــرتعش أطرافهم فزعا من الصدق أبدآ !! إنهم- أعنى أصحاب الآراء الخاطئة- ليسوا سوى أناس مساكين لا يؤمنون بالثقافة فيتركون عقولهم فريسة لذلك العدو البشع، الجهل.. ان الذى يجب أن نخاف منه هو ســيطرة الجهل وليس تيار الثقافة الوافدة . فالتمسك بالأصالة لا يعنى سد بـــاب التجديد ، بل أن الحضارة العربية القديمة رفعـــت كثيـــرا مـــن شـــأن المجددين الرواد.. ومن هنا تؤكد " ورقة أكتوبر " .

ان " حقنا فى التصرف فى أمور دنيانا وظروف أيامنا. ليس أقل من حـــــق أسلاف عظـــــام لنـــا جـــددوا وابتـــكروا وتصـــرفوا فى

أمور دنياهم وأحوال أيامهم. إن التجديد الجذرى ليس بالضرورة منقطع الجذور عن التراث القومى والحضارى. والروحى للشعب .

ونحن لا نقول بهذا نن رغبة فى التمييز أو الاستعلاء، لكن لأننا نؤمن من استقراء التاريخ أن المناطق ذات التراث الحضارى العميق لا يمكن يحكم الطبيعة أن تنطمس هويتها تحت أى ضغط . ونؤمن بأن انطلاقنا من هذه الجذور يحمي بالنسبة لنا وبالنسبة لغيرناذلك التنوع من الحضارات والشخصيات الذى يثرى بتعدده العالم ويغنى تجاربه .

ولست هنا اعرض مفاهيم جديدة، ولكننى فقط أذكر بمعان قد استقرت فى ضمير هذا الشعب ، وفى أعماق وجدانه-، لا يمكن ان يزعزها شيء ، وبأنه من هذه المعانى قولى بأن الإنسان المصري بعراقته وأصالته هو الضمان لنا فى أن نقطع هذه الرحلة نحو المستقبل دون أن نفقد من هويتنا شيئاً .

إن من أبرز اثار الثورة التكنولوجية فى عالم اليوم .. ذلك التقدم الهائل فى وسائل نقل الأفكار والمعلومات والتيارات وأنماط السلوك المختلفة عبر الحدود القومية لكل المجتمعات الإنسانية على السواء، وبالتالى سقطت الحواجز القديمة العازلة بين بيئة وبيئة وبين مجتمع ومجتمع. وفى وجه هذا التحول الثورى المتزايد لا يمكن أن تكون حصانتنا أزاء هذا الانفتاح والاتصال إلأ من داخلنا ...

ولا يكون الحفاظ غلى هويتنا بالانكماش والجمود والضعف و بدرجة التقدم التى نحرزها بالأسلوب السليم الذى يستمد حيويته

من قدرتنا على التجديد، وثباته من تمسكنا بالأصالة.. وبهذا المعنى فإن عملنا من أجل أن نبنى فى بلادنا مجتمعا عصريا ودولة حديثة لا يعنى النقل والتقليد..

إننا قادرون على أن نصنع بأنفسنا ولأنفسنا حضارة عصرية ذات طابع مصرى وعربى أصيل... نحن نرفض أن تكون الأصالة نظرة إلى الوراء.. نقدس الماضى لأنه ماض ونرفض التجديد. فليس كل ما كان فى الماضى مشرقا ولكن فيه بعض عناصر التخلف. ونحن نرفض من جهة أخرى أن نمسخ شخصيتنا القومية بأسم محكأة المادية أو السلوكية لمجتمعات أخرى.

إن التحدى الحقيقى المطروح أمام الشعوب العريقة التى تواجه مشكلة التقدم الحضارى هو بالدقة كيف نجدد حضارتنا فلا نلفظ الماضى بأسم الحديث ولا ترفض الحديث باسم الماضى وإنما نأخذ بأسباب التجديد دون أن نفقد الأصالة . أن الدولة الحديثة والمجتمع العصرى ليس فى مظاهرهما المادية فحسب، ولا يتحقق بناؤهما بمجرد اقتناء أحدث السلع والمنتجات. إن العصرية هى أن نعرف أولا الترتيب ، السليم لأولوياتنا فى ماذا يلزمنا من هذه الأدوات قبل غيره .. ثم هى فى أن نوجد المؤسسات والنظم والعلاقات التى تحول هذه الأدوات فى الأيدى العربية من أدوات صماء مستهلكة إلى أدوات خلاقة منتجة .. ثم هى بعد ذلك فى أن نخلق البيئة المناسبة ودرجة التطور اللازمة التى تجعلنا- قادرين على الابتكار والإبداع وبالتالى على!المساهمة الحقة فى الحضارة الإنسانية..

5

هذا هو الدور الذى يتحتم على العقل المصرى أن يقوم به ...
ولن يتأتى له القيام به إلا بالتعليم المتواصل والتثقيف المستمر حتى يضيف الإنسان المصرى إلى كيانه ذلك التوازن البديع بين الروح والعقل والجسم... وإذا كنا تعرضنا فى هذا الكتاب إلى الأيمان كغذاء للروح وإلى التثقيف كغذاء للعقل .. فقد تبقى لدينا الدور الذى يلعبه الجسم فى حياة الإنسان.. وهو دور لا يقل فى أهميته عن دور كل من الروح والعقل ... فغذاء الجسم السليم المتوازن يتمثل فى الطعام المعتدل والرياضة البدنية.

والإنسان الذى يتناول كميات معتدلة من غذاء كامل تهضمه معدته فى يسر ويتمثله جسمه بسهولة غالبا ما يشعر بالانتعاش والحيوية والإحساس بدوره مما يجعله ينظر إلى الحياة فى تفاؤل. ولكن إذا قل الطعام عن حاجته اليومية أو زاد شعر بتغيرات فى احساساته العصبية قد لا يفطن إلى سببها ، فيصبح سريع التأثر لأقل المؤثرات الخارجية . آما الشىء الذى كان عادة لا يسبب،

له سوى إحساس طفيف بالضيق يصبح سبب قلق عميق، والإجهاد العصبى ينتج دائماً عن القلق .

أما عن الرياضة البدنية فالجميع يعرفون فوائدها الجمة، ولكن قليلين جدا هم الذين يضعون هذه الحقيقة الحيوية الخطيرة موضع التنفيذ. ولذلك فنحن من الشعوب القليلة التى تزداد فيها نسبة الرجال ذوى الكروش المترهلة، والنساء ذوات البدانة المرهقة.. على الرغم من أن الرياضة البدنية من الأنشطة اليومية التى لا تكلف الإنسان أى مبلغ من المال.. فعندما أتكلم عن الرياضة لا أقصد التنس مثلا أو غيره من الرياضات المكلفة ، ولكنى أقصد أكثر أنواع الرياضة بساطة وفائدة فى الوقت نفسه ألا وهى المشى... أننى أمارسها يوميا بحيث اسير مسافة لا تقل عن أربعة كيلو مترات. وعندما أنتهى من هذه الممارسة اليومية أشعر بمنتهى الحيوية والانطلاق بل والسعادة . وهذه ليست أحاسيس مجردة لا تخرج عن نطاق علم النفس بل لها أساس عضوى راسخ وهو أن الرياضة والمشى على رأس القائمة- تقوم بتغيير كيمياء الدم فى الجسم فيشعر الإنسان بالتفاؤل والاستبشار مع بداية اليوم.. ولا يمكن للأحاسيس السوداء أن تنتابه أو تهاجمه.. وكما قلت فى بداية هذا الفصل إننى مارست رياضتى المفضلة حتى فى صباح السبت 6 أكتوبر سنة 1973 وهو اليوم الذى تحدد لتغيير مصير مصر كلها لأجيال عديدة قادمة.

194 وصيتى

إن الجسم الخامل أشبه بآلة معطلة، والآلة إذا تركت بغير عمل تراكم عليها الصدأ وتآكلت شيئاً فشيئاً.. فى حين أنها لو استعملت بانتظام لعمرت وقتا طويلا.. إن الخمول يتسبب فى فسادها وعطبها.. والآلة البشرية كالآلة الميكانيكية لأنها خلقت للنشاط والعمل والإنتاج وهذا هو الهدف من وجودها أصلا.. لذلك ينبغى على جميع أجهزة الجسم الدقيقة المعقدة من عضلات وغدد وأعصاب أن تعمل بانتظام كى تظل سليمة أطول مدا! ممكنة. وعندما نقول أنها إذا لم تعمل تراكم عليها الصدأ فهذا ليس من باب المجاز أو التشبيه أو المبالغة.. فالمقصود بالصدأ هنا السموم التى تتراكم لكى تؤثر فى وظائف الجسم . والشخص الخامل يتحدى قوانين الطبيعة وهو يدفع ثمن هذا التحدى من أعصابه..؟ أن الخمول الذهنى ليس أقل ضررا من الخمول البدنى ، فالعقل الخامل يغدو تربة خصبة للقلق والخوف وعدم القناعة والرضا، وهذه بدورها تؤثر على أجهزة الجسم بدون استثناء.

وعندما أتكلم عن التوازن الدقيق بين الروح والعقل والجسم لا أقصد أن هذه العناصر تسير متوازية أو منفصلة عن بعضها البعض. فهذا الفصل المؤقت فقط من أجل التفسير والتحليل، ذلك لأنها متداخلة تماماً وبالتالى لا يمكن فصل غذاء أى منها عن غذاء الآخر.. أى انه لا يمكن الفصل بين الأيمان (غذاء الروح).. والتثقيف (غذاء العقل) ..

www.anwarsadat.org

والرياضة (غذاء الجسم) من هنا كان الإنسان فى حاجة إلى ممارسة مستمرة لكى يحصل على هذا التوازن الدقيق بينها.. ومتى حصل على هذا التوازن أصبح جزءا حيويا من شخصيته وعلامة مميزة لسلوكه وترسب فى منطقة اللاوعى عنده بحيث يسلك به دون أن يقصد إليه قصدا.. ونحن فى إصرارنا على بناء الإنسان المصرى نصر بالتالى على ضرورة هذا التوازن لأنه الطريق الوحيد المؤدى إلى الثقة بالنفس والتفاؤل بالمستقبل.. والتحرر من الخوف الذى يدمر الإنسان من الداخل ولا يتركه إلا بعد أن يغدو هيكلا أجوف.

www.anwarsadat.org

الفصل السادس

لـــــــو كـــــــان الخـــــــوف رجـــــــلاً

www.anwarsadat.org

1

أحب أن يعرف الناس أننى حينما أتحدث إليهم عن قيمة من القيم فأننى لأ أتكلم اعتمادا على قراءاتى واطلاعي فى الكتب فقط بل أن معظم هذه القيم مستفادة أساسا من خبرتى

www.anwarsadat.org

الشخصية وتجاربى التى مررت بها فى حياتى الزاخرة بالصراعات والتقلبات .

ما أريده حقا أن أقدم هذه الخبرات والتجارب للناس حتى تتحول إلى علامات مضيئة على طريقنا نحو المستقبل بحيث إن لا يضيع وقتنا أو جهدنا عندما ندخل فى طرق مسدودة ومتاهات جانبية.. فالوطن فى أشد الحاجة إلى هذا الوقت وهذا الجهد حتى يلحق بركاب العصر الذى يسير الآن بسرعة الصواريخ وسفن الفضاء.. لم يعد هنـــاك مجـــال لتكـــرار الصراعات والتقلبات والسلبيات والأخطاء فكلها عوامل كفيلة بتحويـــل عنصر الزمن ضدنا.. والزمن لا يرحم المتقاعسين ولن يترك لهـــم أى مكان تحت الشمس .

120وصيتى

من هذه السلبيات التى اعترضت حياتى فى مرحلـــة الـــشباب المبكـــر وتخلصت منها بعد ذلك : الخوف .

www.anwarsadat.org

ربما بدأ الخوف فى حياتى من القرية بحكم التقاليد المتوارثة والتى لا ترى إلا ا العقاب الصارم نتيجة طبيعية لأى خطأ يرتكبه الإنسان وإذا لم يقع عليه العقاب فى هذه الدنيا فلا مناص من تطبيقه عليه فى الآخرة. وقد ساعدت التربية الدينية التقليدية فى القرية على بث هذا الرعب فى نفوس الأطفال.. ليس هناك سوى الجحيم فى انتظار من يرتكب أى خط.. وقد أدى هذا النوع من التعليم إلى ضياع أمل الكثيرين فى التوبة لأنه مادام خطأ واحد يفقد الأمل تماماً فى اكتساب رضا الله عز وجل فلا حرج إذن فى السير على طريق الخطايا إلى نهايته. وكان عريف الكتاب يصر على ذكر وترديد آيات القرآن التى تتوعد الكافرين بالعذاب الأليم ولا يذكر الآيات الكريمة التى تؤكد رحمة الله الواسعة التى يمكن أن تشمل كل المخطئين مهما فعلوا ماداموا قد رجعوا وتابوا توبة صادقة ؟

"قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا " على سبيل المثال

لا الحصر.

وكان استعدادنا للخوف قد بدأ منذ طفولتنا المبكرة عندما اعتادوا على تخويفنا من الجن والعفاريت والأرواح الشريرة حتى لا نخرج عن طاعة الكبار، وعندما التحقنا بالكتاب كان يطاردنا الخوف من الوقوع فى الخطيئة والعقاب الأليم فى

الجحيم . وبالطبع ترسبت كل هذه العوامل فى نفسى حين نزحت أسرتى إلى القاهرة عام 1924 وكنت فى الخامسة من عمرى.. وبمرور الأيام ازدادت الحساسيات فى نفسى وأثرت على معاملتى للآخـرين.. ولعـل العامل الأساسى الذى لم يترك لهذه الحساسيات أن تصل إلـى نهايـة المدى داخل نفسيتى. تلك القيم الأخلاقية التى رسختها القرية فى نفسى وأولها الانتماء إلى الأرض والتآلف والتعاون والتراحم والأيمان بأن الله موجود فى كل الوجود لكى يرعى الإنسان حيثما وجد.

لكن هذه المخاوف تعد عادية لأنها لم تترك أغوارا غائرة فى نفـسى. أقول هذا لأننى مررت بتجربة الخوف فى شهر يناير عام 1946 لدرجة أنها وصلت معى إلى مستوى العقدة النفسية التى تترك بصماتها علـى سلوك الإنسان دون أن يدرى. وظل الحال لى هكذا إلى أن دخلت السجن وأكتشفت ذاتى وبالتالى استطعت بلوغ الأسباب الكامنة وراء هذه العقدة مما جعلها تنحل أخيرا.. أى أننى قمت لنفسى بمهمة المحلل النفـسانى الذى يظل يفتش عن العقد حتى يصل إلى مكانها.

فى 11 يناير سنة 1946 على وجه التحديد كان يوم وصـول الملـك عبد العزيز عاهل السعودية لزيارة الملك فاروق. قبل ذلك بخمسة أيـام أى فى السادس من يناير أطلق الرصاص على عميل بريطانيا الأول فى مصـر أمين عثمـان الـذى كـان وزيرا للمالية فـى وزارة الوفـد وأعلـن علـى المـلأ أن بريطانيـا تزوجـت

مصر زواجا كاثوليكيا لا يقبل الطلاق أو حتى الانفصال، وأنه حتى لـــو تركتنا بريطانيا لكان علينا أن نلهث فى أعقابها. قتل أمين عثمان فـــى نفس الليلة وقبض على الفاعل بعدها بساعات. وحدث أننى كنت علـــى صلة وثيقة بهؤلاء الذين دبروا ونفذوا مقتل أمين عثمان. وكـــان مـــن الطبيعى أن أتوقع القبض على أنا الآخر بعد أن وقع الآخرون فى قبضة الشرطة فى الأيام التالية للحادث .

ظللت من يوم 6 إلى يوم 11 يناير وأنا أتوقع القبض على.. ومازلت أذكر تماما أن هذه كانت أسوأ فترة يمكن للإنسان أن يمر بها لأنه دائماً يتوقع الأسوأ منها، تماما مثلما يقول المثل المصرى " وقوع الـــبلا ولا انتظاره " ولعل من المفيد لشعبى أن أحكى لهم تفاصيل ذلك اليـــوم 11 يناير حتى يدركوا إلى أى مدى يمكن للخوف أن يسحق الإنسان .

فى ذلك اليوم خرج الشعب المصرى لاستقبال الملك عبد العزيـــز آل سعود.، وخرجت مع المستقبلين فى ميدان الأوبرا على سبيل الهـــروب من الأفكار السوداء التى تساورنى خاصة أن الاتهام الذى وجه ضـــدى فى هذه القضية أننى قمت بتدريب المتهمين على إطلاق النـــار وإلقـــاء القنابل اليدوية.. وبالطبع كانت احتياطات الأمن المحيطة بموكب الملـــك عبد العزيز علـــى أشدها إذ أنه لم يمر سوى خمسة أيام علـــى مقتـــل أمين عثمان .. صاحـــــب رجـــــال الأمـــن الموكب مركزين أنظارهم

فى كل اتجاه.. وأحب هنا أن استطرد وأذكر لأولادنا أن قائد البـــوليس فى تلك الأيام كان لا يزال بريطانيا- بل أن الكونستبلات الـــذين كـــانوا ينطلقون فئ الشوارع بموتسكلاتهم كانوا ينتمون إلى نفس الجنـــسية، وهم الذين قاموا بحراسة موكب الملك عبد العزيز.. طبعا لم يحضر أحد من أولادنا هذا العهد الذى كانت فيه مصر ذنبا من الأذناب التى تـــسير فى فلك الإمبراطورية البريطانية التى لا تغرب عنها الشمس .

انتهى موكب الملك عبد العزيز وعاد القلق لينهشنى مـــن الـــداخل. لكننى لم أجد شيئاً أفعله سوى العودة إلى البيت مع مغيب الشمس إذ أن موكب الملك عبد العزيز كان بعد الظهر. تناولت عشائى ونمـــت حتـــى أدفن أفكار القلق والخوف فى الوسادة أو تحت الغطاء.

وعند الفجر وفى عنفوان البرد جاء زوار الفجر.

كنت مستغرقا فى النوم والدفء.. وفى الثالثة صباحا فوجئت بنـــور الغرفة ساطعا فى عينى بعد أن كانت الغرفة غارقة فى الظـــلام. طـــار النوم من جفونى وعاد القلق والاضطراب والخوف فى موجة عارمة لم أعرف لها دفعا.

حول السرير وقف ما لا يقل عن عشرين رجلا من البوليس السياسى عرفت منهم محمد إبراهيم إمام وضباطه الذين كانت لى معهـــم خبـــرة سابقة منذ أن طردت من الجيش وأودعت سجن الأجانب.

كان منظر المخبرين المحيطين بالسرير كالكابوس الـذى لـم أسـتطع الاستيقاظ منه .
هذا المنظر مرعب وحده فى وضح النهار. فما بالك إذا وقعـت عينـاك عليه وأنت مستقيظ من النوم فى زمهرير الشتاء وضوء الفجر لم يبرز فى الأفق بعد طبعا لم يعبأ أحد من زوار الفجر بأحاسيس هذا الإنسان الذى أحاطوه من كل جانب ، بل أخذونى من البيت إلى سجن الأجانـب ومن هناك تم ترحيلى إلى الزنزانة 54 فى سجن قرة ميدان (أو سـجن مصر ا لمركزى)

لم تمر تلك الليلة على خير.. اكتشفت فى السجن أننى أصبت بهـزة عصبية فى تكوينى النفسى، ولعل هذا من الأسباب التى جعلتنـى بعـد ثورة التصحيح أطلب من ممدوح سالم بصفته وزيرا للداخلية فى ذلـك الوقت أن تمتنع أجهزته عن القبض على أى مواطن فى منتصف الليـل أو عند مطلع الفجر.. كانت تعليماتى أن يتم القـبض علـى الـشخص المطلوب القبض عليه فى أثناء النهار .

ومادامت هناك سيادة للقانون فالنيابة هى الجهـة المـسئولة عـن القبض عليه وليست أجهزة الشرطة التى لا تملك سوى التنفيذ فقط .

2

بعد أسبوع واحد فى السجن، لابد أن ينكشف الإنسان على ذاتــه كمــا ينكشف أيضا للآخرين.
ساعدنى على هذا الكشف قراءاتى المتواصلة سواء فى المعتقل أو فــى السجن.. وقد عرفت من قراءاتى فيما بعد دور تجربــة الــسجن فــى اكتشاف الإنسان لذاته ولكن بعد أن كنت قد اكتشفتها عمليا. فهى تجربة تعد من اهتمامات علما النفس الحديث .

فى خارج السجن يغرق الإنسان حتى أذنيه فى دوامات الحياة اليومية فلا يملك وقتا للتأمل والتفكير المتأنى حتــى يكتــشف حقيقــة ذاتــه.. وكثيرون يعيشون ويموتون من غير أن يعلموا لمــاذا عاشــوا ومــاذا حققوا قبل موتهم .

أما عندما يلقى بالإنسان فى السجن بين جدران الزنزانة الأربع فــلا يجد أمامه إلا أن يختار بين التأمل والتفكر والتعمق فــى ذاتــه وبــين الانهيار أو الجنون أو الانتحار. وكان إصرارى علــى الاختيــار الأول بمثابة الطريق الذى أدى إلى اكتشاف ذاتى .

قضيت فى السجن 31 شهرا أى سنتين ونصف سنة وشهرا.. ولم أتخلص من هذه الهزة النفسية إلا بعد انقضاء سنة ونصف سنة، شعرت فيها أننى غير متوازن نفسيا وعصبيا وأعصابى يغلب عليها الإجهاد ، ولولا الصلابة الداخلية التى اكتسبتها من القرية فى طفولتى المبكرة وصباى لكان من الممكن أن أعجز عن تحمل الصدمة.

مع هذه الصلابة والقراءة والتأمل توصلت إلى تحليل العوامل التى أدت إلى هذه الهزة النفسية وطبقا لمنهج التحليل النفسى انحلت العقدة فور إدراك كنهها .

صحيح أننى نشأت فى القرية على ألا أخاف سوى الله عز وجل خاصة أن الخوف عند الفلاحين عيب لا يصح أن يلصق بشخصية الرجل .

ولكن الإنسان هو الإنسان بكل قوته وضعفه ومنذ ذلك التاريخ الذى علمنى درسا لن أنساه وأنا أرفض رفضا باتا أن أسبب خوفا لأحد لأن الخوف عامل أساسى يفقد الإنسان حقه وكيانه فى الحياة كإنسان.. وكلنا نعرف الحكمة التى قالها على بن ألى طالب رضى الله عنه " لو كان الفقر رجلا لقتلته " فهو يقصد بهذا مدى الإذلال الذى يعانى منه الإنسان من جراء

الفقر، لكننى أقول بعد على بن ألى طالب كرم الله وجهه " لو كان الخوف رجلا لقتلته " إذ أننى عانيت منه فوق ما يحتمل البشر، ولا أحب لغيرى من الناس أن يمروا بهذه التجربة المريرة التى يمكن أن تدمر الإنسان من الداخل لو لم يمتلك الصلابة الداخلية لتحمل نتائجها وآثارها .

www.anwarsadat.org

3

إن مسئوليتى المباشرة عن أبناء هذا الوطن أن أجنبهم ما عانيت منه فى صباى وشبابى.

من هنا كان من الطبيعى أن أبذل جهدى فى تطبيق مبدأ التامين الاجتماعى ونشر مظلته على الجميع، لم يكن لأحد فى أيامى أن يسمع عن هذا، فضلا عن تطبيقه.

فى تلك الأيام كانت التعريفة أو الخمسة مليمات عملة صعبة بالنسبة إلى خاصة عام 1946 قبل القبض على.

إن الإحساس بفقدان الأمان والاستقرار من العوامل التى تجعل من الإنسان ريشة فى مهب الرياح ، وإذا كنت قد تعرضت لهذه التجربة فى عنفوان شبابى، وتركت فى نفسى آثارها السلبية بل والمدمرة، فكيف يكون الحال بالنسبة للآخرين لو مروا بهذه التجربة فى فترات ضعف وانهيار فى حياتهم، وهى فترات كثيرا ما تنتاب الناس بفعل ضغوط الحياة المعاصرة بكل تعقيداتها وصراعاتها.

www.anwarsadat.org

لو كان الخوف

رجلا 129

الخوف لا يورث السلبية فقط بل ينتج عنه العديد من الأمراض النفسية. والمجتمع الذى يسيطر عليه الخوف لابد أن يكون مجتمعا سلبيا مليئا بالأمراض والعقد والرواسب التى تمنع الإنسان من الانطلاق فى الاتجاه الصحيح الذى يؤدى به إلى مستقبل مشرق لوطنه .

أن معركة البناء الداخلى لا يمكن أن تتم والخوف يشل انطلاقة الشعب ، ذلك لانها معركة لا تقل فى ضراوتها عن معركة العبور والتحرير.. ونجاح هذه المعركة رهن بتحقيق الاستقرار..

ومن المهم جدا فى تقديرى- ونحن بصدد تحديد مفهوم الإنسان المصرى والطريق الذى يتحتم عليه أن يشقه- أن أسجل أن الأنتصار الحقيقى فى أية معركة أو ثورة هو حين تتحول إلى نظام واستقرار ،

www.anwarsadat.org

أى عندما تنتقل من مرحلة الشرعية الثورية إلى مجال لشرعية الدستورية .

أن من طبيعية الثورات وهى تمارس عملية تغيير حادة وضرورية فى المجتمع أن تقترن بالكثير من الإجراءات الاستثنائية التى لا مفر منها والتى تؤثر على إحساس المواطنين بالأمن والأمان، ذلك أن الثورة حدث لا يقع كل يوم ولا كل جيل، إنه حدث استثنائى يصبح حتميا حين تتوافر أسبابه وتتراكم دوافعه وتسد كل وسائل التغيير الأخرى فى وجه الجماهير، وهو بالتالى بتعامل مع مختلف المصالح والآراء والخلفيات والارتباطات ويتم عبر غبار كثيف حيث يدور الهدم والبناء والتنقيب والإصلاح .

لكن الثورة مهما حققت من نجاحات ، فإن النجاح الأخير لها هو وصولها إلى تحقيق أهدافها . هو أن ينقشع الغبار عن صورة البناء الجديد.. هو حين يشعر الشعب أن مؤسساتها قد اتضحت معالمها، وأن قوانينها العامة قد تبلورت، وأن مبادئها الأساسية صارت جزءا من ضمير الشعب وأن العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة قد أخذت طريقها إلى الاستقرار.

بهذا تصل الثورة إلى بر الأمان، وتصبح نظاما للحياة ومجموعة؟ سائدة من القيم والمبادئ تستمد استقرارها من هندستها الداخلية وتناسقها الذاتى واتساعها لآمال الجماهير وحركتها، ! وليس من

إجراءات استثنائية تحميها، ذلك لأن الإحساس بالأمن ينتفى وجوده مع استمرار هذا النوع من الإجراءات .

www.anwarsadat.org

4

ليس معنى ذلك أنه قد تم حـل مـشاكل الجمـاهير والوفـاء بكـل متطلباتها، فإن متطلبات كل مجتمع ومشاكله تتطور من يوم ليوم إلـى غير ما حد وتحتاج إلى نشاط مستمر لمواجهتها .. ولكن معناه أننا قـد عرفنا معالم الطريق، وأرسينا المنطلقات التى منها نتحرك لمواجهة هذه المشاكل والمتطلبات.

وليس معنى ذلك أيضا أننا وضعنا إطارات جامدة غير قابلة للتطور- إن هذا ضد قوانين الحياة وسوف يظل لكل منا فكـره إزاء الظـروف المتغيرة، واجتهاده فيها ولكن النقاش والتفاعل والوصول إلى القرارات صارت له قنواته المعروفة المستقرة.. وحتى تغيير القوانين صارت له وسائله الدستورية المحددة يحدث فى كل المجتمعات.

هنا أقول أيضا أن ثورة التصحيح كان أساسها ثورة ضـد الخـوف، ثورة تستمد ينابيعها من هذا الإحساس بوصول ثورة 23 يوليـو إلـى مرحلة النظام والاستقرار.

www.anwarsadat.org

ولذلك كان جوهرها: تراجع الإجراءات الاستثنائية بشتى صورها، واستقرار القوانين والنظم والمؤسسات والعلاقات فى. إطارات واضحة المعالم معروفة مسبقا للمواطن، يمارس من خلالها نشاطاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أجل تحقيق ذاته وتطوير حياته باستمرار.

ولعل أكبر ماشوه الإنجازات التاريخية الرائعة لثورة 23 يوليو تلك السحابة القاتمة التى انتشرت فوقها نتيجة لفقدان سيادة القانون ولقصور الديمقراطية السياسية.

وإذا كانت الثورة قد أنجزت الكثير فى مجال الحرية الاجتماعية ، فإننا بكل أمانة لابد أن نسلم أن جانب الحرية السياسية لم يتحقق على الوجه الذى يريده الشعب، بل لقد فرضت الأجهزة ومراكز القوى وصايتها على الجماهير وتعددت القيود والإجراءات وشاع الخوف والقلق بين المواطنين.. بل وصل الأمر إلى حد صرف إجراءات التحول الاجتماعى عن هدفها الإنسانى الأصيل واستغلالها لإرضاء أحقاد شخصية أو مصالح مجموعات معينة ، وبدعوى الدفاع عن الاشتراكية تارة وعن أمن الدولة تارة أخرى أغلقت كثيرآ من الأبواب وسدت مسالك كان يجب أن تفتح أمام العمل الوطنى. إن من حق كل مواطن أن يأمن على نفسه وعلى رأيه وعلى عمله وعلى كسبه المشروع.

إن الأصل فى كل مواطن افتراض أمانته ما لم يثبت القضاء تطبيقا للقانون أنه اخطأ فى حق غيره أو فى حق المجتمع .

www.anwarsadat.org

إن شعبنا بالغ رشيد لا يحتاج لوصاية أحد، ومن هنا كان عملى الدؤوب على تصفية مراكز القوى وعلى تحقيق سيادة القانون وإقامة دولة المؤسسات، وتأمين المواطن على يومه وغده. إننا نقدم فى جرأة على تطهير المجتمع من الخوف، وعلى تصفية القيود على الحرية من واقع الثقة بالجماهير وبوعيها الوطنى الممتاز، نريد أن نخلص من كل المظاهر التى تعبر عن الريبة فى المواطن أو تنال من إنسانيته أو كرامته أو التى تجعل مصر تنغلق على نفسها على خلاف طبيعتها.

إن من حق شبابنا بالذات أن يدرك هذا التقييم الموضوعى للتجربة ليعرف بالدقة ماذا حقق جيلنا. وماذا كان مقدار جهده، وما تعرض له العمل الوطنى من نواقص وسلبيات ليتخذ عن اقتناع مكانه الطليعى فى حركة العمل الوطنى، بدل أن تمزقه التيارات التى تحاول أن تنكر التجربة جملة وتفصيلا.

ومادام الخوف لم يعد له مكان بيننا. فلم تعد هناك ذريعة لأحد لكى يتقاعس عن العمل الوطنى خاصة فى مجال معركة البناء الداخلى.

وعندما أتكلم عن الخوف يجب أن يعلم شبابنا أننى أتكلم عــن الخــوف المرضى. لأن الخوف من أهم الانفعالات الأولية التى منحها الله للإنسان لكى يحافظ بها على حياته، أما الخوف المرضى فهو خوف شاذ يــرتبط فى ذهن الفرد بالخبرات القاسي التى مرت بها حياته، ونسى سببها ولم يعد يذكر منها إلا الصورة الملازمة لها. وغالبا مــا يتــسبب الخــوف المرضى فى عدم قيام العقل بوظائفه العليا على وجهها الصحيح فيؤدى إلى شرود البال وتشتت الانتباه وخطأ التفكير.

أما الخوف الطبيعى فلا يعنى سوى إدراك الإنسان لما فى الموقــف الراهن من خطورة واتخاذ الاستجابة الملائمة له. فمن شأنه أن ينــشط قوى الفرد الجسمانية والعقلية ويجعله اكثر قدرة على مجابهة الموقف والسيطرة عليه. ولذا فالخوف الطبيعى بدلا من أن يكون عدوا للجــنس البشرى يصبح وسيلة لبقائه .

www.anwarsadat.org

أما الخوف الذى يهدد كيان الفرد ويشل قواه فهو خوف غير طبيعى يرسب فى كيان الإنسان الشعور بالنقص. فالخوف والشعور بالنقص. مترادفان من الناحية العلمية لأن الشعور بالنقص عادة ما يكون مصحوبا بالخوف كما أن الخوف يصحبه أيضا شعور بالنقص يكون نتيجة للإحساس العميق بالقمع أو عدم المواءمة.

ومن العبث أن ننصح الشخص الذى تسيطر عليه عقدة الخوف الدفينة أن يلتزم إرادته أو أن يسير وفق سلسلة من الإرشادات العقلية كى ينجح ثنى حياته، ذلك أن الإحساس الأول هو أن نتخلص أولا وقبل كل شىء من هذه العقد الكامنة فى أعماق اللاشعور، فإن تم لنا ذلك أمكن أن تؤتى هذه الإرشادات العقلية ثمارها. أما إذا دخلت هذه الإرشادات فى صراع مستمر مع عقد الخوف الدفينة، كانت النتيجة توترا أو ضغطا وتعبا واكتئابا.

إن التربية السليمة الصحيحة فى الطفولة والصبا المبكر قلما تنتج لدى الفرد اتجاها ضد المجتمع.. من هنا يجب تحليل خبرات تلك المرحلة المبكرة من العمر ومعرفة هذه الخبرات التى أدت إلى تكوين الاتجاهات المناهضة للمجتمع والشعور بالنقص.. فإن تم ذلك بالتحليل الذاتى أو بمساعدة الغير وجب القيام بعملية إعادة تربية الشخصية بأكملها وتدريبها على الثقة بالنفس واحترام الذات والاعتماد عليها .. ويمكن بالجهد المتواصل

والصبر والفهم استئصال الأساليب القديمة الخاطئة فى التفكير والإحساس، وغرس طرق إيجابية جديدة.. وتعرف هذه العملية بأسلوب معرفة الذات واحترامها والسيطرة عليها .

أما إذا كان مصدر الخوف هو نقص الخبرة أو الجهل فيجب أن نعلم أن مثل هذه المواقف إنما تحل بنجاح عن طريق العمل والعمل وحده.. قد ينطوى العمل أحيانا على احتمال الفشل إلا أنه ليس ثمة وسيلة أخرى لاكتساب الخبرة والشجاعة والقدرة على السيطرة وعلى الموقف بغير العمل.. أما الهروب من القيام بخبرة ما، لأن الوهم يصور لنا الفشل والارتباك فهذا معناه استسلام الإرادة للخيال الواهم الذى يستطيع العقل المنظم المستنير أن يسيطر عليه.. فمثلا عندما كنا نعد لثورة 23 يوليو 1952 عملنا تقدير موقف طبقا للعلوم العسكرية فوجدنا أنه يوجد 85 ألف عسكرى بريطانى فى القناة.. أى أن الموقف فى غير صالحنا إذا وضعنا فى اعتبارنا العوامل غير المنظورة التى قد تنتج عن تحريك هذه القوة البريطانية ضدنا عند قيام الثورة.

معنى هذا أننا لو ركزنا كل تخطيطنا على هذا الاحتمال المتوقع فإننا لن نفعل شيئاً على الإطلاق وبالتالى لن تقوم الثورة ، لكننا قررنا القيام بها مع وضع هذا الاعتبار فى أذهاننا بحيث لو تحركت القاعدة البريطانية ضدنا فسننتقل بالثورة إلى مرحلة الحرب الشعبية ، خاصة أن الملك فاروق كان قد بلغ

قمة الفساد.. واهتزا النظام السياسى والحزبى تماماً، وأصبح الشعب على أهبة الاستعداد لكى يساند أية قوة جديدة تخلصه من هذا الانهيار الوشيك.. وكانت الحكومة البريطانية عاقلة بما فيه الكفاية ، وأدركت هذه الحقائق بحيث لم تتصدر للثورة على أمل أن تحتويها فيما بعد.
138وعتى

6

ينطبق نفس المنطق على قرار 6 أكتوبر.. فقد كانت كل المقاييس والتقديرات والاحتمالات

www.anwarsadat.org

والدعايات تؤكد أن عملية العبور واقتحام خط بارليف عملية انتحارية مائة فى المائة ولن تعود على القوات المسلحة المصرية إلا بهزيمة أشد إيلاما وأكثر قسوة من هزيمة ه 1967 يونيو.

ولم تكن هذه المقاييس والاحتمالات مجرد حرب نفسيه أو تكهنات مغرضة بل كانت بناء على دراسات علمية مستفيضة خرجت من الحاسبات الإلكترونية التى تمتلكها مراكز السلطة فى عواصم العالم

المتحضر.. ولو أننى تركت أذنى وعقلى نهبا لهذه التيارات لكان الخوف من اتخاذ القرار نتيجة طبيعية لهذه التأثيرات والـضغوط ، وبالتأكيـد كانت توجد عوامل غير منظورة.. لكننى قررت خوض المعركة بحيـث أعالج كل عامل من هذه العوامل عندما يبرز فى الأفق .

ومع ذلك لم تكن العملية بالنسبة لـى مجـرد مخـاطرة غيـر مامونـة العواقب . فقد كان يقينى- طبقا لحساباتى وبدون التأثر بأية

www.anwarsadat.org

حسابات خارجية أخرى- أننا سننجح وسنثبت أقدامنا- بعد العبور- على الضفة الشرقية للقناة، وسنهدم جدار الخوف الذى تفننت إسرائيل فى إقامته بكل الوسائل الإعلامية والأساليب السيكولوجية منذ انتصارها المزيف فى 5 يونيو 1967.

كانت احتمالاتى لنجاح الخطة تزيد عن 80%، وهذا ما حدث بالفعل.

وكان تقديرى أيضا أن وصولنا للمضايق أمر ممكن، ولكن لم تكن الأرض فى خطتى بقدر ما هدفت خطى لضرب نظرية الأمن الإسرائيلية، وتقويض المجتمع الإسرائيلى بالتالى بسقوط هذه النظرية من داخله، وهذا ما وقع بالفعل، ومازالت موجاته تغرق إسرائيل حتى الآن ولا تستطيع لها دفعا، فقد أنهت حرب أكتوبر جيل الحرس القديم الذى قامت إسرائيل على أكتافه .

إذن كان من الأهداف الأساسية لحرب أكتوبر هدم جدار الخوف من أساسه عن طريق العبور ووقوفنا على الضفة الشرقية للقناة، وهذا ما دعانى فى وقت من الأوقات لكى أقول لعبد الناصر على سبيل المجاز أن اقتحامنا القناة ووقوفنا على مجرد 10 سم من الضفة الشرقية للقناة كفيل بأن يغير الموقف دوليا سواء على المستوى الغربى أو الشرقى أو العربى .

وبالطبع كان عبد الناصر مدركا لهذا تماماً، ولكنه كان حذرا بحيث كان اعتباره منصبا أساسا على حساب الخسائر و المخاطر.

ولكن استراتيجيتى كانت مختلفة بحيث تحولت الـ 10 سم إلى 15 كيلو مترآ تقريبا.. ثم فى المرحلة الثانية وصلنا إلى المضايق، وبهذا جنينا ثمار المعركة كاملة بنصف معركة فقط .

أقول هذا الكلام لكى أؤكد عمليا أن الاستسلام للمخاوف والأوهام كفيل بأن يجعل الإنسان يقبع فى عقر داره مشلول التفكير والإرادة .
وحتى فى هذه الحالة لن تتركه المخاوف والأوهام فى حالة ،بل ستطارده إلى أقصى ركن فى داره لأنه استسلم لها فى بادئ الأمر وهى لا ترضى إلا بالاستسلام الكامل . ولذلك يتحتم على الإنسان فى حالة استسلامه للخوف . كنتيجة لفشله فى مهمته أن ينهض مباشرة من عثرته وبهذا الاتجاه الشجاع يمكن أن يحتفظ بأعصابه ويحقق نتائج أروع من التى كان يتمنى تحقيقها.

فالفشل هو أول خطوة فى الطريق المؤدى إلى النجاح . . ويكاد يجمع كل علماء النفس على أن العلاج فى جميع الحالات المرضية الناتجة عن الخوف إنما هو بأيدى أصحابها.
والخوف الذى يكدر على الإنسان صفو حياته ويكاد يشل

www.anwarsadat.org

تفكيره، عبارة عن إحساس غامض بأن شيئاً ما سوف يحدث ص لـــه دون أن يكون مهيئا لاستقباله أو الاستعداد له.. وهذا الإحساس يرجـــع أساسا إلى ما أحدثته المدنية الحديثة من ضـــغط وتـــوتر فـــى نفـــس الإنسان.. فقد أصبحت الحياة فى نظر معظم الناس أمرا بـــالغ التعقيـــد، كما أن كل مظهر من مظاهرها يهدد بناء الشخصية الإنسانية، فالإنسان المعاصر يبغى من الناحية الاجتماعية تأكيد ذاته ومنحها المزيـــد مـــن التقدير، ولذلك يخاف أشد الخوف أن يفقد شيئاً من الهالة التـــى أحـــاط بها نفسه. كما أنه يعيش من الناحية الجسمية فى فزع دائـــم مـــن أن يصيبه مرض يقعده.. وبالمثل من الناحية الاقتصادية يعيش فى خـــوف وقلق مستمرين من أن يفقد ثروته نتيجة خطأ قد لا يكون هو المتسبب فى إحداثه .

7

فى هذا العالم المتمدين المعاصر يعيش الإنسان تحت ظروف من الضغط والتوتر والخوف من المجهول الذى يهدد كيانه فى أية لحظة من لحظات يومه.. ولكن مع كل هذا التوتر والخوف

www.anwarsadat.org

فإن . عليه واجيا يتمثل فى المحافظة على كيانه النفسى والروحى لكى يعيش فى اتساق ووئام مع بيئته.. ولن يتأتى له ذلك إلا برجوعه إلى حظيرة الأيمان .

إن الاعتقاد- عند معظم علماء النفس والمفكرين- يزداد اليوم بأن معظم حالات الخوف المرضى ترجع إلى هذه الحقيقة وهى أن فقدان الثقة بالله يفقد الإنسان ثقته بنفسه وبمن حوله .. وضعف هذه الثقة يجعل الإنسان عندما تواجهه أزمة من الأزمات أو مشكلة لا قوة له على احتمالها يلتمس سبل اليأس فيلجا إلى الشراب والمخدرات أو الانتحار وقد يصل الأمر به إلى الجنون .. وهذا ما يحدث الآن فى

بـــلاد الحضـــارة المعاصـــرة التـــى بلغـــت فيهـــا المـــدنيـــة الماديـــــة قمتهـــا ، بينمـــا جفـــت يـــنابيعهـــا

www.anwarsadat.org

الروحية أو كادت.. ولذلك أصبح إنسان هذه الحضارة مطحونا ضائعا على الرغم من كل مظاهر الترف المادى المحيط .. ويقول عالم النفس الأشهر كارل يونج أن جميع مرضاه ممن تخطوا الخامسة والثلاثين من عمرهم كانوا يلجأون آخر الأمر إلى الدين فى حلهم لمشكلاتهم.. ويقول أيضا إن ما يعانيه الواحد منهم من مرض نفسى إنما هو نتيجة فقدانه هذا القدر من اليقين الذى يمنحه الدين لمعتنقيه . وأن شفاء الواحد منهم مرده إلى استرجاع ما فقد من نظرة دينية إلى الأمور. ويؤكد عالم النفس الإنجليزى هادفيلد نفس الرأى بعد سنوات طويلة من التجارب والدراسة فى علم النفس العلاجى حين يقول: " عندما أتحدث كمعالج نفسى- لا دخل له بالدين- فأننى أذهب إلى القول بأن الدين يعتبر أحد القوى المؤثرة الهامة التى يمتلكها الإنسان للوصول إلى الراحة والسلام العقلى والروحى، وإلى حالة الطمأنينة النفسية التى نحن فى أمس الحاجة إليها لإقرار الصحة والعافية بالنسبة لعدد كبير من مرضى الخوف وضحاياه. لقد حاولت علاج مرضى الخوف بالإيحاء إليهم بالثقة والإخلاد إلى الهدوء ولكن دون جدوى إلى أن ربطت بين الاتجاهات والثقة فى قدرة الله.. مصدر اليقين والأمل.. من هنا كان المريض يتحسن ويشعر بالقوة تعود إلى أعصابه الخائرة تدريجا. لذلك نحن نحتاج إلى اليقين من أجل التغلب على الخوف الذى تمتلئ به نفوسنا ، ولو أن إنسانا

خاف الحياة فهل تستطيع قوة على الأرض- أيا كانت و كان اســمها - أن تحول ما لديه من خوف إلى ثقة وعزم وشجاعة ؟

لقد توغل علم النفس الحديث فى دراسة مخاطر الخــوف التــى تهــدد إنسان العالم المعاصر بحيث أصبح عاجزا عن مساعد نفسه بنفسه وإلا لما بقى على ما هو عليه من عجز ويأس وقد قال عالم النفس (أدلــر) إن الشعور بالخوف وفقدان الأمن شعور عام فى النفس البشرية ، ومن ثم فإن الإنسان طبقا لتكوينه النفسى- يكون فى حاجة إلى قوة تفــوق فى قوتها قوه البشر من أجل تدبير أمور حياته.. لذلك فالــدين الحــق يمنح الإنسان الشعور بالأمن ويحول ضــعفه وخوفــه ثقــة ويقينــا.. والمؤمن الحق يشعر بأن كل قوى العالم تقف لمساندته، وعن طريــق هذا اليقين وهذه الثقة يظل بعيدا عن اليأس والقلق و الخوف .

www.anwarsadat.org

الفصـــل السابـــع

مصر فوق كل شىء

www.anwarsadat.org

1

كثيراً ما تفهم الكرامة الشخصية فهما خاطئاً بسبب النظـرة الذاتيـة الضيقة التى تفرض نفسها على الإنسان وتصيبه بالحساسية الـشديدة التى تجعله يعتقد أن كل حركة أو سلوك تجاهه يهـدف إلـى امتهـان كرامته. وفى الحال يشرع أسلحته لصد الهجوم المضاد الذى يتوهمـه مما يوسع الفجوة بينه وبين الآخرين ويقضى تماماً علـى أيـة نظـرة موضوعية للأمور. وهذا أكبر دليل فى حد ذاته على فقدان الثقـة فـى النفس وضعف الكيان الشخصى الذى يجعل الإنسان يتوهم أن كرامتـه فى مهب الرياح دائماً ومعرضة لكى يدوسها الآخرون. وتزداد خطـورة هذه الظاهرة إذا كمان الشخص يتولى منصبا قياديا، إذ أنه فـى هـذه الحالة لن يستوعب أعباء المنصب وتبعاته بسبب عدم فصله بين أبعاد المنصب كمسئولية قومية عامة واهتماماته الذاتية مما يدخله فى دائرة مفرغة من التخبط والحساسية المفرطة التى يمكن أن تعود عليه بالعديد من العقد النفسية .

ولو كنت أتصرف من هذا المنطلق لاستطاع السوفييت، توريطى مع إسرائيل دون أن استعد للحرب معها عام1971 وهو العام الذى أعلنت أمام العالم كله أنه سيكون عام الحسم ، وذلك بناء على وعد السوفييت فى بإمدادى بالأسلحة اللازمة لشن الهجوم ولكنهم لم يفوا بوعدهم حتى أبدو أمام العالم فى ثوب الزعيم الذى يقول كلاما لا يقدر على تنفيذه . ومع كل هذا لم تركبنى عقدة الكرامة الشخصية ، بل أحنيت رأسى للعاصفة الهوجاء التى هبت على من موسكو ولكننى فى نفس الوقت أحنيت رأسى لمصر فمن أجلها هانت على أشياء كثيرة لأننى لم أكن أفصل بين كرامتها القومية وكرامتى الشخصية بل من أجلها كنت دائماً على أتم استعداد لابتلاع كرامتى. كنت أضع فى اعتبارى دائماً أننى مادمت أحافظ على كرامة مصر فكرامتى الشخصية فى الحفظ والصون . فلم يكن يهمنى إطلاقا المظاهر البراقة الخادعة والعنتريات الجوفاء التى قد تشعل الحمية الوطنية للحظات تخبو بعدها لسنوات .

وإذا كنت قد عودت شعبى على أن أقدم لهم قطعة حية من " تجاربى الشخصية حتى يتجسد أمامهم المفهوم العملى للكرامة ، فيكفى أن أحكى لهم قصتى مع سنة الحسم وهى التى حددتها بعام 1971. فى هذا العام قمت بثورة التصحيح وأدرك السوفييت- طبقا لاعتقادهم- أننى قمت بتصفية من كانوا يسمونهم برجال موسكو.. ولذلك جاء بودجورنى فى سرعة

البرق لكى يزور القاهرة فى مايو 1971. أى بعد قيام ثورة 15 مـــايو بأيام. وظل يلح على إلحاحا رهيبا أن أعقد مع السوفييت معاهدة صداقة على الرغم من أن عبد الناصر طلبها مهم قبلى فرفضوا، ثم عاد ليطلب عقد حلف معهم فأصروا على الرفض. كان فى اعتقـــاد الـــسوفييت أن ثورة التصحيح المصرية ف! مايو 1971 كانت بمثابة ضـــربة قـــاس!ة لنفوذهم فى المنطقة وانتصار غير مباشـــر للأمريكـــان. ولـــذلك أرادوا بمعاهدة الصداقة تلك أن يؤكد للعالم أن مكانتهم الأثيرة فـــى المنطقـــة مازالت كما هى على الرغم من تصفية رجالهم .

لم أجد مانعا من عقد المعاهدة لأن همى الأكبر كـــان الحـــصول علـــى الأسلحة اللازمة لحسم القضية عام 1971. وســـافر بودجـــورنى مـــن القاهرة وفى حقيبته معاهدة صداقة مع مصر اعتبرها السوفييت ضمان جديدا للعلاقات الودية بيننا، ورأت فيها الـــصحف الـــسوفييتية نجاحـــا للاتحاد السوفيتى وهزيمة للولايات المتحـــدة التـــى حاولـــت بزيـــارة- روجرز لمصر فى 3 مايو 1971 أن تدق إسفينا فى العلاقـــات المتينـــة بين البلدين طبقا لتعبيرهم. كما أن السوفييت رأوا فى هذه المعاهدة بعد تصفية رجالهم فى السلطة، تأكيدا لأن العلاقـــة بيننـــا ليـــست علاقـــة أشخاص بأشخاص، وإنما هى علاقة دول أى علاقة أبق!. وأهـــم مـــن الأشخاص.

950وصيتى

لكن همومى لم تخف، فعندى تجارب معهم قبل ذلك طويلة وعديدة، ولكنى ومع ذلك جعلت أمنى نفسى.. ولم يغص عن بالى لحظة واحـــدة أننى قد حددت سنة 1971 بس!ه الحسم، وأصبح معروفا للعالم كلـــه.. وللسوفييت قبل غيرهم.. ما هذا الذى نريـــد أن نحـــسمه.. مـــا هـــو المطلوب س السوفييت لكى يساعدونا على ما نحن فيـــه، ومـــا نحـــن مقبلون عليه.. وأهم من ذلك كله أننى أوضحت كل شىء.. فتحت قلبى للسوفييت تماماً وأطلع!ثم على كل خبايای.. أى أنه لم يعد لهم أى عذر فى الوقوع فى أى سوء تفاهم أو سوء فهـــم. وقـــد تنبـــه المعلقـــون السياسيون والصحف الغربية إلى عبارة جاءت فى كلمة الترحيب فـــى الحفل الذى أقمته لبودجورنى وقلت فيه :

''نحن نريد أن يعرف الكل أننا لسنا على استعداد لأن نفـــرط فـــى الأرض أو فى الحق مقابل سراب ، أن الكلمات المعسولة ليست دلـــيلا على صدق النوايا التى وراءها " .

2

واسترحت إلى أن المعانى التى أردت أن أؤكدها للسوفييت أمام العالم كله، قد بلغت غايتها، فأنا أريد فقط من السوفييت أن يفهمونى وأن يقدروا موقفى. أمام شعبى وأمام العالم كله، وأن

تكون الصداقة والكلمات الحلوة حقيقة وليست فاتحة للشهية، ثم يجىء بعدها طعام .

ولكن من المؤكد أن السوفييت ليسوا سعداء لكل ما حدث فى مصر بعد عبد الناصر. فأنا لست رجلهم، وإننى صفيت رجالهم.. وإننى ألغيت الحراسات التى فرضت على الناس، ثم إننى بطبيعتى ضد القهر والظلم وإثارة الحقد بين الطبقات والفئات، كما أننى أسمح بالخلاف فى الرأى ولا أسمح بالصراع ، ثم إننى أكدت أننى مختلف معهم وصارحتهم بغضبى وضيقى.. ولابد أنهم يتوقعون منى ما يضايقهم أكثر.. وقد هددتهم بأن للصبر حدودا وبعدها لابد أن أقول للشعب ماذا جرى.. وفى ذلك فضيحة لهم أمام العالم كله .. فلا يعقل أن أحافظ على كرامتهم بينما هم لا يعيرون كرامتى

www.anwarsadat.org

أدنى التفات. ولذلك فهم يخافون أن أكشف القناع الذى يضعونه علـــى وجوههم فيعرف الشعب حقيقتهم.. وحقيقة الهوان والعذاب الذى لقيته وتلقاه مصر معى على أيديهم.. لهذا كله كان لابد أن يفعل الـــسوفييت شيئاً بسرعة فى مصر أو فى السودان أو فى أية دولة أخرى فى العالم العربى أو فى الشرق الأوسط كله.. وقد حدث بوضوح بعد ذلـــك.. ش كان الانقلاب الشيوعى الذى فشل فى السودان فى يوليو 1971.

بعد هذا كله، وبسببه حصلت قطيعة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى لا كلام بيننا ولا سلام أيضا.. ولكن كان مفهومى للكرامة ينهض على أســـاس ما أعلناه من مبادئ ومواقف مهما اقتضانا ذلك من جهد وتـــضحيات.. فلن نسمح لهذه الأزمة أن تتجمد معالمها ومعالم حقنـــا تحـــت تـــراب النسيان.. لابد أن نتحرك وإلا ضاعت الكرامة الحقيقية لمصر.

من هذا المنطلق وحده بدأت أنا الكلام مع السوفييت برغم القطيعـــة التى فرضوها على العلاقات بيننا.. فالمسألة ليست كرامتى الشخـــصية ولكنها كرامة مصر.. بعثت أذكرهم بما قاله بودجـــورنى مـــن أن كـــل الأسلحة المطلوبة سوف تصلنى بعد أربعة أو خمسة أيام مـــن تـــاريخ عودته إلى موسكو، وأن ذك الحمام هو عام الحسم وشرحت لهم معنى الحسم.. ولكن السفير السوفيتى يجىء وعلى لسانه العبارة التى عرفتها ومللتها: القادة السوفييت فى القرم . أى أنهم يصطافون علـــــى شاطئ

شبه جزيرة القرم على البحر الأسود ولذلك فالدنيا كلها معطلة: ذهابا لا لشىء يصل، وإيابا لا شىء يجىء !!

وأعود أذكرهم بالمعاهدة التى بيننا . والجواب: القادة فى القرم.. وأقول للسفير: أن موقفى من السودان موقف مبادئ.. قل لهم ذلك.

فيقول: إنهم فى القرم

ـ وسنة الحسم.

ـ القادة فى القرم

ـ ماذا أقول للشعب المصرى وللعالم العربى والعالم كله؟

ـ فى القرم!!

أما ما الذى يجب أن أفعله فهذه مسألة تخصنى أنا وحدى.. ومن الضرورى أن أفكر فى كل الذى قلته ووعدت به.. لابد أن أجد لى صيغة مناسبة أواجه بها الشعب. هل أحكى للشعب قصة السوفييت؟ هل أفضح هذه العلاقة؟ لو فعلت ذلك لكان أضرارا مباشرا بالسوفييت. هل من مصلحة مصر أن أفعل ذلك؟ ثم ما هى أقصى درجات احتمالى للأذى؟ إننى قادر على أن أحتمل الكثير، ورصيدى من الصبر كبير.. ولكننى أخشى أن ينضب هذا الرصيد فأجدنى أمام حالة من الغضب لا أستطيع أن أسيطر عليها . ولكن مصر؟ إن من

أجلها يهون كل شىء.. وقد هانت أشياء كثيرة كانت عزيزة على نفسى حتى كرامتى هانت من أجل مصر.. ابتلعتها كثيرا وشربت وراءها أكوابا من التشهير بى وبنظامى فى الحكم.. وفى كل يوم كنت أشعر أنهم لا يجففون الجراح وإنما يضعون الملح علما الجراح .

www.anwarsadat.org

3

وأخيرا وفى آخر سبتمبر جاءنى السفير السوفيتى يقول لى: القادة السوفييت على استعداد لأن يروك .

قلت: خير.. متى؟

قال: فى 11، 12 أكتوبر .

ولا أظن أن السفير قد لاحظ أننى كتمت غيظى أو ربطت " الدم على القيح " كما نقول فى الريف .

فقلت: لا مانع.. أنها قضية مصر.

ولكى يفهم الرجل بالضبط ما أردت أن أقول ص كررت المعنى قائلا: إنها قضية مصر ومن أجلها فإننى أتهاون مع نفسى.. رغم كل ما أصابنى.. قبلت هذه الدعوة فورا.. ولم أقل له ما كان يدور فى نفسى من أنه لو كان الأمر يخصنى أنا ما ذهبت إلى موسكو أو حتى رأيت هؤلاء الناس.. ولكن الضرورة لها أحكام.. والضرورة هى مصر، وأحكامها أن أمد يدى أطلب المزيد من السلاح .

وكما حدث فى أول مارس سافرت إلى موسكو فى 11 أكتوبر والذى جرى فى الكرملين هو ما توقعته بالضبط.. فقد كان لزاما على أن أروى من جديد كل ما حدث للعلاقات بيننا وما وعدوا به جمال عبد الناصر وما وعدونى به. مع أننى حكيت ذلك عدة مراث ومن الغريب أن لديهم استعدادا لسماع الشىء الواحد ألف مرة. وكأنهم يسمعون لأول مرة. وأعدت عليهم ما سبق أن قلته إلى أن وصلت فى كلامى إلى ذكر " سنة الحسم " فإذا بهم فى نفس واحد يسألون : " قل لنا شيئاً عن سنة الحسم هذه ؟ " أقول لهم عن سنة الحسم ؟ بعد كل هذا الذى أعلنته فى مصر أمام رجلهم بونا ماريوف وما أعلنته بعد ذلك وما حكيته لهم.. مطلوب أن أشرح لهم معنى سنة الحسم؟ ثم مطلوب منى أن أشرح لهم ما هو الحسم؟.

المهم أن القادة السوفييت وعدونى بإرسال الأسلحة التى طلبتها قبل نهاية عام 1971 وتوالت الشهور بطيئة جدا وموجعة جدا للنفس والكرامة وأحسست بأسنان الزمن أليمة . واقترب أكتوبر وانتهى وجاء نوفمبر وانتهى ثم ديسمبر وفى يوم 8 ديسمبر وقعت الحرب بين الهند وباكستان ، ووقف الاتحاد السوفيتى إلى جانب الهند واستخدم مطارات مصر قاعدة لإمداد الهند بالذخيرة والسلاح !

وفى نفس الوقت الذى كنت فيه فى موسكو كانت أنديرا غاندى تلف العالم تمهد لهذه الحرب سياسيا وإعلاميا.. إذن فقد

مصر فوق كل شىء
157

كان السوفييت يعلمون ما سوف يحدث فى ديسمبر وكانوا قد أعدوا كل شىء لذلك ، وكان فى استطاعتهم أن يقولوا لى : لا داعى لسنة الحسم هذه.. فسوف نكون مشغولين لسبب أو لآخر، ولكنهم لم يفعلوا، وأخمدت غيظى فى نفسى وقلت: لقد كانوا أصدقاءنا فى الحرب ، وكذلك كانت الهند.

وبعملية حسابية بسيطة جدا أدركت أن سنة 1971 لن تكون سنة الحسم.. وليس من العقل أن أجعلها كذلك.. فإن حرب الهند وباكستان قد لفتت العالم كله واسترعت كل اهتمام الناس وعطفهم وغضبهم.. وحرصهم على المساعدة أو التوسط أو الدعوة إلى السلام. ولا يمكن أن تحظى مصر بهذا كله، فسوف تكون حربنا هذه قضية صغيرة أمام قضية كبيرة أو حدثا عابرا أمام كارثة دولية.

إذن لقد انتهى كل شىء ولن تكون سنة 1971 هى السنة التى ناديت بها ووعدت وهددت.. باختصار انحسمت سنة الحسم بلا حرب، وابتلعت كرامتى حتى أتفادى فوقفا قد أندم عليه فيما بعد.

www.anwarsadat.org

استدعيت يوم 9 ديسمبر السفير السوفيتى لأقول لـــه: واضـــح الآن أنكم لن تبعثوا بأية أسلحة.. وإذا جاءت فبعد عام الحـــسم.. فمـــا هـــو العمل ؟

ولم يقل السفير شيئاً.

158وصيتى

وقلت: حتى إذا أرسلتم هذه الأسلحة، فلن تصل قبل فبراير.. وبعد ذلـــك بشهور يتم تركيبها والتدريب عليها.

ولم ينطق السفير.

ولم يرسل السوفييت هذه الأسلحة حتى كتابة هذه السطور عام 1977.

وعدت أهز السفير بعنف : ماذا أقول للشعب.. إننى لو. حكيت كيـــف حدث هذا كله وما كان منكم لكانت هذه فضيحة كبرى لكم.. ولأضـــرت بكم ضررا بالغا فى المنطقة وفى العالم كله. ومع ذلك لم أدع إحساسى بالكرامة المجروحة يسيطر على الموقف ويفقفى تحكمى فيه.. فطلبـــت من السفير السوفيتى أن يبلغ موسكو أننى أريد رؤية القادة الـــسوفييت قبل نهاية ديسمبر.. هذه المرة دعوت نفسى إلى زيارة قادة الكـــرملين لأن كل شىء يمكن أن يهون فى سبيل مصر.. قلت للـــسفير: قبـــل أن أصل أحب أن يكون معروفا مقدما أن الغرض من هذه الزيارة هـــو أن نصدر بيانا نغطى به الموقف الفظيع الذى يواجهنى فـــى مـــصر وفـــى العالم كله.

وتوقعت أن يحددوا الموعد بعد أسبوع أو أسبوعين.. لم يحدث شىء من ذلك فقد مضى أسبوع ومن بعده أسبوع آخر، وفى يوم 28 ديسمبر جاءنى السفير السوفيتى يحمل هذه البشرى: القادة السوفييت يسعدهم أن يستقبلوك فى 1، 2 فبراير.. ومعنى هذا أنه مطلوب منى وحدى أن أغطى فوقفى.. فأنا

www.anwarsadat.org

الذى قررت وينبغى على أن أتحمل النتائج مع أننى لم أقــرر ذلــك إلا استنادا إلى وعودهم وعلى أرفع مستويات القيادة السوفيتية. إذن هــذا هو المطلوب !

معنى ذلك! أنه إذا كان السوفييت برجالهم وعملائهم لــم يفلحــوا فــى إسقاطى، فهذه هى الفرصة التى أقوم فيها بإسقاط نفسى.. بيدى لا بيد السوفييت !

ومع ذلك أحنيت رأسى للعاصفة الهوجاء التى هبــت مــن موســكو فأطاحت بسنة الحسم كلها، ولكن لن أسمح لها بان تطيح بــى وبآمــال شعبى.. وعندما أحنيت رأسى للعاصفة أعترف أننى أحنيتــه لمــصر.. فقلت للسفير: قل للقادة السوفييت أننى مسافر إلى موســكو يــوم أول فبراير.

أحب أن أضيف لشعبى قولى بأنه لم يكن من السهل على نفسى وما كان فى أى وقت أن أقول أن سنة الحسم ذهبت بلا حسم .. وهى عبارة قصيرة تمر عليها العين فى ثانية.. ولكن كم مــن الــساعات وأنــواع العذاب والهوان عصرت نفسى وطويتها على أشد أنواع المرارة التــى عرفتها فى حياتى.. ولو كان الأمر يخصنى وحدى لهان كــل شــىء.. وقبل ذلك هانت على نفسى أشياء.. ولكنها قضية شعب ومستقبل أمة، وقدر منطقة.. لقد ذهبت سنة الحسم، وكان على أنا وحدى أن أواجــه الشعب وأقول ما أقدر عليه.

4

وأشهد الله سبحانه وتعالى أننى لم أكن وحدى فى هذه المحنة فقد كان الشعب العريق معى وكانت مشاعره كلها تشد أزرى.. فشعبنا أدرك بوجدانه الأصيل أننى كنت صادق العزم ، وأن السوفييت هم الذين أخطئوا فهمى وفهم الشعب وأخطئوا فى الحساب.. أرادوا أن يكشفونى فانكشفوا أرادوا أن يغرقونى فى وعودى فغرقوا هم بوعودهم . وثار الناس عليهم فى كل مكان فى مصر.. إن الذى يسترجع ما قيل فى الصحف وفى البيوت وفى المدارس وفى الشوارع وفى كل مكان.. يجد أن الناس قد صبوا الغضب كله على السوفيت.

ولم أترك العنان مرة أخرى لكرامتى الشخصية لكى تثأر منهم بشكل أو بآخر.. فعلى الرغم من كل ما حدث وقفت فى مجلس الشعب أحييهم وأشيد بصداقتهم، وأذكر لهم مساعدتهم لمصر فى أشد الأزمات.. والله يعلم أننى صادقا فيما أقول .

www.anwarsadat.org

كان كل هدف إسرائيل فى هذه المرحلة أن تضع العالم كله أمام الأمر الواقع بالنسبة للوضع فى الشرق الأوسط.. والأمر الواقع هو أن يبقى اليهود على أرضنا كما هم.. ونظل نحن نحترق فى عجز ويأس وهوان كما نحن .. ونحن بدورنا نستحق هذه العقوبة وزيادة إذا ارتضينا الهوان، وإذا قبلنا الجمود.. وإذا نظرنا إلى الضفة الشرقية من القناة ولم تغل الدماء فى عروقنا.

إن لنا مئات الآلاف من الجنود يعيشون تحت نار الشمس وفوق التراب وأيديهم على السلاح ينتظرون لحظة الانتقام للكرامة وللأرض وللعرض. تلك الكرامة كانت الهدف الاستراتيجى الرئيسى والنهائى الذى حشدت له كل طاقاتى وأعصابى بحيث لم أشتتها فى معارك فرعية وثانوية من أجل الكرامة الشخصية التى أعتبرها جزءا لا يتجزأ من الكرامة القومية.

ومع أوائل عام 1972 اشتد الهجوم العنيف فى مصر على السوفييت.. فهم الذين تخلوا عنا لأنهم أرادوا أن يؤكدوا لى وللعالم أننى لا استطع أن أتخذ قرارا.. فالقرار قرارهم والرأى رأيهم تماماً كما عرضوا علينا من قبل أن نستخدم طائرات تتلقى أوامرها من موسكو.. ومعنى ذلك- تأديبا لى وتحذيرا جديدا- أنه بعد الآن يجب ألا أعلن قرارا قبل أن آخذ موافقتهم على ذلك.. فسنة الحسم هذه ما كان يجب أن

أعلنها، قبل أن أخطرهم بذلك.. وإذا أخطرتهم قامت لجانهم وهيئـــاتهم تدرس الموضوع سنة بعد سنة حتى تصل إلى قرار ويجىء القرار بعـــد عشرة أو بعد عشرين سنة، هذه هى الأصول التى يريـــدون منـــى أن أتبعها وألا أخرج عنها.

استشعر الناس فى مصر جرحا غائرا فى كرامتهم، وفوجئت فى ذلـــك الوقت بعريضة فوقعة من عـــدد مـــن الـــسياسيين وأعـــضاء الاتحـــاد الاشتراكى يتحدثون فيها عن محنة فظيعة تهدد مـــصر شـــعبا وأرضـــا وحضارة ويؤكدون أن الاتحاد السوفيتى يقدم لمـــصر العـــون الـــذى لا يسمح بتحرير الأرض واسترداد الحق وقالت العريـــضة إنـــه آن الأوان لأن ترسم مصر سياسة التحرير الوطنى على أساس أن قـــوى مـــصر الذاتية وحدها.. روحية ومادية هى الركيزة الأولى والأمنيـــة الوحيـــدة لتلك السياسة وأنه آن الأوان لمواجهة الإسراف فـــى الاعتمـــاد علـــى الاتحاد السوفيتى لأن الاعتماد على السوفيت كل هذه السنوات لم تحرير الأرض وردع العدو .

وبرغم كل ما أعرفه من مشاعر الناس، فأنا واحد من أبناء الشارع وأنا فلاح أدرك تماماً مدى عمق هذه الجراح، فقد دافعت عن السوفييت وعن الصداقة بيننا. وذكرت لهم فضلهم.. بل إننى ذهبت إلى القول أمام مجلس الأمة أهدد بعد كل ما فعله السوفييت بى : هذا فوقفى والـــذى لا يريد ان يتعاون معى فليقدم استقالته أمام المجلس.. إلى هذه الدرجـــة

كنت أغطى فوقف السوفييت الذين أرادوا تعريتى وجرح كرامتى أمـــام الشعب وأمام الأمة العربية ، وأخيرا سافرت إلى موسكو فى أول فبراير 1 972 بناء على طلبى ثم فى 28 أبريل من نفس السنة بنـــاء علـــى طلبهم كنوع من استعراض قوة السوفييت أمام الأمريكان قبـــل زيـــارة نيكسون لهم فى مايو.

وعندما وجدت أن السوفييت يفترضون فى الوفاء المستمر بطلبـــاتهم بينما يرفضون أو يتجاهلون تنفيذ أى وعد من وعودهم لمصر بإمدادها بالأسلحة المطلوبة لاسترداد كرامتها المهدرة فى سيناء وعلى الـــضفة الشرقية للقناة، اتخذت دون أفى تردد قرارى بإنهـــاء مهمـــة الخبـــراء السوفييت فى 8 يوليو 1972.. وحتى هذا القرار التاريخى الخطير لـــم أتخذه انتقاما لكرامتى الشخصية التى تصور السوفييت أنهـــا أصـــبحت لعبتهم المفضلة، بل أصدرته من منطق قومى بحت يؤكد بأسلوب عملى أن المعركة معركة مصر وليست معركة الاتحاد السوفيتى بأية حال من الأحوال. ولم يفهم السوفييت هذا المنطق القومى إلا بعد مدة طويلة .

كل ما أريد أن استخلصه من كل هـذا الـسرد لـشعبى أن إسـرائيل والاتحاد السوفيتى تصورا أنه بالضغط النفسى والمادى على يمكن أن أنفجر ثأرا لكرامتى مما قد يورطنى فى مواقف متتابعة لم أستعد لهـا سياسيا وعسكريا وبالتالى يسوء الموقف فى الشرق الأوسط اكثر مـن السوء الذى بلغه.

لم يكن مفهومى للكرامة شخصيا.. ضيقا بحيث أثـور لأيـة بـادرة عدائية من الطرف الآخر الذى غالبا ما يكون هدفه إثـارتى المفاجئـة الطارئة لكى يفلت زمام الأمور من يدى.. تركز مفهومى العملى للكرامة فى يوم الثأر العظيم من إسرائيل الذى شهده العالم كله مـشدوها يـوم السادس من أكتوبر 1973 .

فالكرامة عندما تثور يجب أن يكون لهـا مـن الأدوات والوسـائل العملية ما يمكنها من اجتياح من سبق لهم أن داسوها بالأقـدام .. وألا تردى الوضع إلى ما هو أسوأ منه.

www.anwarsadat.org

أريد من شعبى أن يعى هذا الدرس جيدا فليس هناك ثمة شىء يهدد الكرامة الشخصية للإنسان أكثر من الثورة العصبية الطارئة.. والانفعال التلقائى المتفجر. والحكم المتسرع الطائش.. فهذه كلها عناصر نتخيل أنها وسائل سريعة وحاسمة للانتقام لكرامتنا ولكنها غالبا ما تؤدى إلى نتائج عكسية تماماً قد تضع الإنسان فى مواقف لا يحسد عليها. يظن معظم الناس أن الكرامة الشخصية لا تعنى سوى التميز والسطوة والسلطة ورفض أى نقد من أى إنسان.

وبهذا يفقد النظرة الموضوعية تماماً.. وقد جربت فى حياتى هذا النوع من الناس، فعندما أتناقش معه بهدوء وأوضح له بهدوء أكثر أنه قد اخطأ فى كذا وكيت، أجده محاولا كبت الغضب داخله لأنه يتصور أن المناقشة قد سارت فى طريق ضد كرامته.. وللأسف فإن هذه الظاهرة تتفشى اكثر بين الذين حصلوا على الدرجات العلمية مثل الدكتواره وغيرها. فبمجرد اختلاف وجهات النظر يشعر أن كرامته قد أهدرت لأن عقله الباطن يؤكد له دائماً من طرف خفى أن علمه النظرى الغزير قادر على أن يجنبه الوقوع فى الخطأ، وهذه نظرة قاصرة إلى الأمور لا تمت إلى الموضوعية الأكاديمية بصلة من قريب أو بعيد.

فى أحد اجتماعات مجلس الوزراء ضربت للوزراء أمثلة حية على المفهوم الخاطئ للكرامة وهو مفهوم خطير لأنه يؤثر عمليا على فكرنا وسلوكنا.. فمثلا لنى يوم من الأيام حدث تعديل وزارى أدى إلى انتقال بعض الوزراء من مناصبهم إلى مناصب أخرى كان ينقل مثلا وزير من وزارة عادية من الوزارات إلى منصب وزير دولة، فيعتبر هذا إهدارا لكرامته ، أو أن يعين أحدهم نائب رئيس وزراء بدون أن يرأس وزارات محددة على الرغم من أن مهمته الأشراف على قطاع كمال من الوزارة كلها.. ومع ذلك يضع كرامته فى الميزان.. وللأسف هذا المفهوم الخاطئ للكرامة مازال يؤثر على فكر وسلوك البعض من كبار المسئولين حتى الآن.

بعد ذلك التعديل جمعت مجلس الوزراء وعبرت لهم عن أسفى لوجود هذا المفهوم الخاطئ للكرامة بين معظمهم وشرحت لهم أمثلة حية من حياتى لكى أوضح لهم معنى الكرامة الحقيقية.. فقد كنت مثلا فى يوم من الأيام وزير دولة

فى عام 1954 وكان ذلك هو المنصب الرسمى الوحيد الـذى توليتـه لفترة محدودة جدا بعد قيام الثـورة وإلـى أن عينـت نائبـا لـرئيس الجمهورية فى 25 ديسمبر 1969. وتراوح عملى بين عامى 1956 و 1969 بين جريدة الجمهورية والمؤتمر الإسلامى ومجلس الأمة.. وذلك يعنى أن الإنسان هو الذى يصنع المنصب وليس المنصب هـو الـذى يصنع الإنسان .

فى تلك الفترة أيضاً استدعى الأمر أن أعمل وكيلا لمجلس الأمة كان رئيسه هو زميلى فى مجلس قيادة الثورة ومن نفس الصف. وقبلت فى الحال بينما رفض زملائى هذا المنصب ظنا منهم أنه يمـس كـرامتهم عندما يعملون تحت رئاسة زميل لهم.. فقد طلب منى جمال عبدالناصر قبول هذا المنصب لأن المصلحة العامة تقتضى ذلك بسبب الصراع الذى نشب حول منصب الوكيل .

ولكن لم يكن منصب وكيل مجلس الأمة بالضحالة التى ظنها فيه كـل الزملاء من وزراء مدنيين أو عسكريين وغيرهم ممن رفضوا قبول هذا المنصب.. وذلك لأن الوكيل فى غياب الرئيس له الحـق فـى رئاسـة المجلس والحصول على كل صلاحياته وسلطاته.. وفى أغلب الأوقـات يتبادل الرئيس مع الوكيلين الجلسات بصفة شبه دورية ولذلك لم أجـد أية غضاضة فى قبول المنصب عندما عرضه على جمال عبد الناصـر قبـل انعقـاد المجلس بساعـات قليلـة.. ولـم يأخـذ القـرار منـى تفكيـرا يـزيد عـن دقيقتيـن

لأننى لست من النوع الذى يضع كرامته فى الكفة المقابلة لأى أمر من أمور الحياة.. فالمسائل تقاس بالجوهر وليس بالمظهر البراق الخادع.

قلت هذا للوزراء وشرحت لهم ما نراه فى دول الحضارة المعاصرة عندما تستقيل الوزارة ثم يدخل رئيس الوزارة المستقيلة وزيرا عاديا فى الوزارة الجديدة.. فأحيانا يعمل وزير خارجية أو داخلية أو مالية، وأحيانا يعمل وزير دولة إذا لم يجدوا له وزارة محددة.. ولكن هذا لا يقلل من شأنه إطلاقا فى نظر المسئولين الآخرين أو عند الفئات الشعبية. للأسف مازلنا نفتقر إلى هذا النضوج لأن مفهومنا للكرامة مازال ذاتيا ضيقا تقليديا. بينما للكرامة معنى كبير جدا لا يصح الزج به فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا.

فى أغلب الأحيان يؤدى هذا المفهوم الخاطئ للكرامة الى كثير من مركبات النقص والعقد النفسية التى تحول بين الإنسان وبين فهمه للآخرين فهما صحيحا. فهو دائم التحفز والهجوم لاعتقاده أن كرامته دائماً فى خطر.. وهذا المفهوم يتفشى عند المثقفين اكثر منه عند العامة.. ويمكن أن يؤثر على أقدار الأمة إذا تحكم فى المسئولين عن سير الأمور فيها.. ولحسن الحظ عندما قابلت الرئيس جيمى كارتر لأول مرة فى أبريل 1977 وجدت أننا نشترك فى مفهوم واحد للكرامة.. فعندما كنا نناقش أعتى الأمور وأصعب المشكلات من خلال

نقط خلاف كثيرة ومتنوعة.. لم يعرف التوتر والضيق والتشنج طريقه إلينا.. فلم ينظر كلانا إلى الأمور بالمنظار التقليدى الضيق سواء إلى الكرامة القومية أو الكرامة الشخصية.. كان يمكن لهذا المنظار أن يدخل المفاوضات فى طرق مسدودة- ومتاهات جانبية لا يستطيع الطرفان الخروج منها مرة أخرى إلى الطريق الواضح السليم.

إننا فى أشد الحاجة إلى هذا المفهوم الناضج للكرامة.. فعندما يتحول إلى جزء من فكرنا وسلوكنا سنجد أن التفاهم بيننا أصبح أكثر سلاسة ومرونة وموضوعية. فالكرامة معنى رفيع وكبير يجب أن نترفع عن إقحامه فى كل دقيقة من دقائق حياتنا. لأن الشخص القوى الواثق من نفسه يعرف جيدا أن كرامته فى حصن حصين مادام قد حاز احترام الآخرين بفكره الناضج وسلوكه المتحضر.. إن هذا المفهوم الحقيقى للكرامة ضرورى وحيوى لبناء الإنسان المصرى سواء على المستوى الإنسانى الشخصى أو على المستوى الوطنى القومى.

الفصل الثامـــــن

معنى النجـــــاح الداخـــلـــى

www.anwarsadat.org

1

يكاد ينحصر مفهوم النجاح فى الحياة عند معظم الناس فى النظـرة التى ينظر بها الآخرون إليهم، للرجة أن النجاح لا يكون نجاحـا إلا إذا اعترف به الآخرون.. هذه النظرة تجعل الإنسان عبدا للآخـرين لأنـه يقيس الأمور بمقياسهم وبالتالى يفقد القدرة علـى ممارسـة أصـالته الذاتية التى تهتم بالمظاهر، وأيضاً لا يستطيع القيام بدور قيـادى فـى مجتمعه لأنه حكم على نفسه بأن يكون تابعا للآخرين. لذلك فأنا أؤمـن بالنجاح الداخلى لأنه لون من النجاح الأصيل لا يحسه الناس فى أغلـب الأحيان. فهو مرتبط بالقدرة على التأمل وإدراك الذات. ومن طبيعة هذا اللون من النجاح أنه يملأ الإنسان ثقة فى نفسه ورضاء عنها. وإذا ما رضى الإنسان عن نفسه فى هذه الدنيا فقد فاز بأكبر درجة من درجات السعادة. والإنسان إذا سعى إلى النجاح الداخلى وأحس به كان مالكمـا لأعظم متعة روحية تحطم أمامها الكثير من متاعب هذه الحياة وآلامها.

فقد اعتدنا فى حياتنا على أن النجاح الخارجى الذى يراه الناس فينا هو النجاح الوحيد الجدير بأن نسعى إليه ونشقى فى سـبيله، واعتـدنا

أيضاً آلا نتقيد بالوسائل فى سبيل بلوغ هذا النجاح لكى نطلع به على الناس. وقليل منهم من يسأل كيف كان هذا النجاح، وانتصارات الإنسان فى نجاحه الخارجى لابد أن يلمسها الناس فى مال أو جاه أو منصسب، سيسعد بها صاحبها، ولكن سعادته تظل معلقة ومقيدة بما يراه النــاس لأنه أسس نجاحه على رأيهم.

أما انتصارات الإنسان فى نجاحه الداخلى فلن يعرفها أو يحس بها إلا صاحبها لأنها انتصار لمبدأ قويم أو لمعنى سام أو لفضيلة معينة. سيسعد بها صاحبها أيضاً، ولكن إلى الأبد. سيسعد لأن هذه الانتصارات ستشعره فى كل لحظة من لحظات حياته أنه يستطيع أن يكون مركزا لأشعاع المثل الطب والمبدأ القويم والأيمان بكل ما هو كريم وشريف فى هذه الحياة وسيسعد لأن بريق هذه الانتصارات لن يذهب أبداً بل سيظل يضىء كلما تقدمت السنون والأيام، وسيظل صداها يحفز لانتصارات أخرى لن تكون إلا كريمة وشريفة لهذا سأظل أؤمن بالنجاح الداخلى حتى لو لم ينعكس على الناس لأنه لن يوزن فى يوم بموازين النجاح الخارجى .

يؤكد الفيلسوف الألمانى شوبنهاور هذا الخط الفكرى فيقول إنه لا مخرج من الحصار الذى يفرضه الآخرون على الإنسان إلا بالتأملات الروحية للحياة. والبحث فى انتصارات المفكرين والفلاسفة والعلماء والقادة الروحيين فى جميع العصور وجميع البلاد، فلمثل هذه القيم الفكرية والروحية والمثل الإنسانية والحضارية عاش أولئك العظماء، ولذلك لن يسمو ولن يخلد سوى ذلك الفكر الذى يتجلى فى البعد عن الأفق الضيق من جراء المقارنة الدائمة بين الذات والآخرين، وعلى حد قول شوبنهاور فإن الفكر الموضوعى يطغى كالعطر الساحر فوق أخطاء المجتمع التقليدى وحماقاته. والمأساة أن أغلب الناس يسمحون لانسياب أفكار الآخرين أن يحبس ويكبت أفكارهم الأصيلة، بل يشل مع الزمن قدرتهم على التفكير وتتحول عقولهم بالتبعية إلى مجرد نوع من آلات الامتصاص نتيجة لفقر عقولهم التى تجتذب إليها أفكار الآخرين عنوة، وبالتالى فهم يقدرون كل عناصر النجاح الداخلى وأهمها الأصالة وحرية الاختيار ووضوح الرؤية والثقة فى النفس. لذلك نجد أغلب الناس يلهثون وراء النجاح الخارجى الذى يفقدهم القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعى، والذى يلهب ظهورهم بسياط من نار لكى يلحقوا ببقية القطيع.

إن النجاح الداخلى يساعد الإنسان على أن ينظر إلى ذاته على أنها موضوع فى حد ذاته بصرف النظر عن علاقتها النسبية

المتغيرة مع ذوات الآخرين ولذلك فالإنسان الناجح داخليا يستطيع أن يستقل نفسيا عن الآخرين وعلى أثر ذلك يحل فى قلبه السلام والطمأنينة والهدوء وكل العناصر التى ينشدها الإنسان دائماً، وهى العناصر التى تهرب دائماً من الإنسان بمجرد السير فى أذيال الآخرين. ولذلك يجب ألا يبحث الإنسان عن سعادته عند الآخرين، لأن السعادة بمنتهى البساطة بين يديه.. بمعنى أن الآخرين لا يمنحون الإنسان السعادة بقدر ما يستخرج هو السعادة منهم .

www.anwarsadat.org

2

يذكرنى هذا بالمقتطفات والمأثورات التى كتبتها فى كراسة السجن منذ ثلاثين عاما وهى الكراسة التى مازلت أحتفظ بها حتى الآن إذ أنها تحتوى على عصارة قراءاتى التى أثرت على منهجى الفكرى طوال حياتى فمثلا يقول الكاتب الأمريكى فرانك كرين أن حياة الأمم العظيمة تبتدئ من بدء إعلان استقلالها ، ولذلك يبدأ الفرد حياته الشريفة من يوم أن يعلن استقلال نفسه ، هذا الاستقلال الذاتى للفرد شرط أساسى لنجاحه لداخلى الذى يحتم عليه ابتكار معايير أصيلة خاصة به فى قياس الأمور التى تمر به فى حياته اليومية، أما إذا وضع منظار الأخرين على عينيه فلن يرى إلا ما يراه الآخرون وبذلك يفقد أصالته وتضيع ملامح شخصيته المستقلة .

أن روح القطيع عندما تسيطر على الإنسان فإنه يتحول إلى جزء ليست له قيمة كبيرة فى مواجهة الكم الهائل الضخم الذى ينتمى إليه . وللأسف فإن الحضارة الحديثة بضغوطها المادية والتكنولوجية الرهيبة تسعى تدريجيا إلى القضاء على تفرد

الإنسان وشخصيته المستقلة مما جعل الفرد فى المجتمع الحديث يشعر بأنه مسير لا مخير.. هو مسير إلى حيث لا يعلم فالحروب والأطماع تتنازع العالم فى هذا العصر لم يحدث فى تاريخ البشرية من قبل . إذ أن الحروب والأطماع لم تعد لها حدود بعد أن أصبح العالم الشاسع مجرد قطعة أرض ضيقة يختلط فيها الحابل بالنابل.. يعيش كل من فيه برغم أرادته فى صراعات مادية وفكرية لا يعرف لها نهاية.. لا يملك غده لأن يومه نفسه مرهون بإرادة الآخرين الذين لا يعرفهم ولم يرتكب فى حقهم إثما .

لقد فقد إنسان العصر الحديث مقومات النجاح الداخلى لأنه لم يعد يفكر بنفسه لنفسه. أصبح فكره مصنوعا جاهزا معدا للاستعمال ولا يكلفه الحصول عليه سوى أن يقرأ الصحف أو يستمع إلى الإذاعة أو يشاهد التليفزيون. فالإنسان يفكر من خلال المسئولين عن الأعلام والثقافة. ويظن أن هذا هو فكره الأصيل لأنه لا يدرك أنه صنع له من قبل وتشربه دون أن يدرى.. فالآخرون يختارون للإنسان الاتجاه الفكرى ويجعلونه يفكر فيما يفكرون هم فيه وبالأسلوب الذى يفكرون به. وبذلك يصبح لا حديث له طوال اليوم إلا فيما تشغله به وسائل الأعلام والثقافة. فهى وسائل تفكر بالنيابة عن إنسان العصر الحديث. ومهما كانت نوعية هذا الفكر، مهما انحط ومهما ارتفع فهو فى النهاية ليس فكره.

هذا كفيل بالقضاء على أى استقلال ذاتى للإنسان ، لأنه يجعل الناس جميعا صورا متكررة لمن يقفون وراء وسائل الأعلام ، فهو فكر مصنوع لكى يباع بالجملة فى أسواق العقول ولأكبر عدد ممكن من الناس.. وهذا لا يحدث فقط فى مجال الأعلام بل فى المدرسة والجامعة حيث يلقن المعلمون الطلبة الذى يستمعون إلى نفس المحاضرات بالجملة أيضاً، وعليهم فى الامتحان أن يعيدوا ما قالوه لهم ، كما قيل بلا زيادة أو نقصان وبالتالى فأن المقياس الوحيد للنجاح فى الحياة والمجتمع هو المقياس الذى اتفق عليه الآخرون، وأى مقياس مخالف له الفشل يصبح بعينه .

أن روح القطيع هى أقسى ما يمكن أن يدمر الاستقلال الذاتى للإنسان ، وعليه يمكن أن يدمر البنيان الفكرى للأمة لأنه يعجزه عن التطور والتجديد الخلاق. فعندما يتحول الإنسان إلى مجرد فرد من أفراد القطيع ، يتحرك معه لكنه لا يعرف إلى أين ولماذا يتحرك أصلا، فهو بهذا يفقد القدرة على التفكير الأصيل النابع عن كيانه وذاته. فالقطيع كفيل بأن يصنع له كل الأفكار التى يمكن أن يتشدق بها فيما بعد كما لو كانت أفكاره الخاصة به، وإذا أصابت روح القطيع إنسانا فأنه يتوقف عن التفكير ويستريح من عنائه طالما أن الآخرين

يقومون بهذه المهمة نيابة عنه، وبهذا تقضى روح القطيع علـــى كـــل ملكات الإبداع والابتكار والأصالة عند الإنسان. فلا يكفى أن يكون لدينا عقل سليم كما يقول الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت : بل ينبغـــى أن نستخدمه استخداما سليما . وإذا كان هناك اختلاف بـــين النـــاس فـــى مستوى الذكاء فلا يرجع هذا إلى تفاوت فى ملكاتهم وانما إلى اخـــتلاف المناخ الفكرى الذى يتأثرون به .

www.anwarsadat.org

3

وأيمانى بالنجاح الداخلى لا يعنى أنه دعوة إلى مبدأ " خالف تعرف " الذى يغرى الإنسان بمعارضة الآخرين لمجرد المعارضة وحب الظهور. فهذا المبدأ أبعد ما يكون عن الاستقلال الفكرى للإنسان، ولا يقل فى أثره الضار عن روح القطيع التى تقضى تماماً على الكيان الفكرى للفرد. فإثبات الذات لا يتأتى عن طريق المعارضة من أجل المعارضة، بل ينبع من وضع الأمور فى نصابها من خلال نظرة موضوعية قادرة على التصدى للآخرين بشجاعة إذا أدركت أن الصواب قد جانبهم .

يتناقض مفهوم النجاح الداخلى للإنسان مع روح القطيع تماما لأنها تتسلل إلى كل أغوار نفسه وخاصة إذا لم يكن الإنسان يقظاً تجاهها. فإذا طبقنا هذا على حياتنا اليومية فسنجد أن هذه الروح تشكل تفكير وسلوك معظمنا وإلى حد كبير. فمثلا نجد إنسانا ليست له أية اهتمامات بكرة القدم . ولكنه يجد جميع من يحيطون به يتحدثون ليل نهار عن آخر مباريات

الدورى والكأس كما لو كانت قضية حياة أو موت بالنسبة، لهم. وفجأة يدرك وضعه الشاذ بينهم لأنه لا يشاركهم اهتماماتهم على الأقل، وبدلا

من أن يهدئ من هذا التيار، السطحى الجماح حولـــه نجـــده ينجـــرف مختارا. وبعد ذلك يتحول إلى أشد المتعصبين لكرة القدم وتصبح شغله الشاغل ليل نهار ، بل انه غالبا ما يتطرف عن الباقين فى حماسه لكى يظهر لهم أنه لا يقل فى وعيه الكروى عنهم فى شىء بـــل ويتفـــوق عليهم وبذلك تنتقل الحمى من شخص إلى آخر حتى تتحول فى نهايـــة المطاف إلى هوس وجنون. وما ينطبق على كرة القدم ممكن أن ينطبق على شتى نواحى الفكر والحياة، مثل الحماس دون مبرر قومى وفكرى للمبادئ السياسية المـــستوردة ، والأفكـــار الاجتماعيـــة المدسوســـة، والتحريفات المتعمدة لجوهر الدين العظيم.. الخ تلك هى إحدى النتـــائج المدمرة لفقدان الفرد لاستقلاله الذاتى. وهى نتيجـــة طبيعيـــة للجهـــل والسطحية والخواء الذى يعانى منه الإنسان داخله عندما لا يشعر بأى اهتمام نابع من ذاته. وهذه ظاهرة حتمية لأن الطبيعة تـــأبى الفـــراغ. والبشر جميعا يشتركون فى عدم المقدرة على تحمل هذا الفراغ . فإذا كان الإنسان من النوع الذى لا يهتم بتثقيف نفـــسه وإنـــضاج فكـــره باستمرار فلاشك أنه سيشغل الفراغ داخله بكل التفاهات التي يقابلها فى حياتـــــه اليوميـــــة فالثقافـــــة ســـــلاح خطيـــــر موجـــــه أساســـــــا ضـــــــد روح القطيـــــــع ، لأن المثـــقف

الأصيل يحترم كيانه الفكرى عن طريق رفض الأفكار التى لا يقتنع بها هو شخصياً، مهما كان عدد الذين يعتنقون هذه الأفكار. فالمسألة لي!ست مسألة أغلبية ولكنها مسألة اقتناع وتفكير موضوعى بصرف النظر عن النعرات المؤقتة . لكن التفكير الموضوعى المخالف لرأى الأغلبية غالبا ما يقابل منها بالاحتكار والهجوم لأنها تعتبره خروجا عليها. لهذا يتميز موقف المثقفين الأصلاء بالصعوبة والحرج فى بعض الأحيان، ومع ذلك يستمرون فى اتجاهم بسبب إيمانهم بدورهم الريادى فى تفتيح أذهان الناس وأبصارهم التى لا ترى أبعد من مواطئ أقدامهم. وفى المجتمعات التى تصل فيها روح القطيع إلى أخطر درجاتها، تتحول شخصية المثقف المفكر إلى مثار للسخرية والتهكم لأن وجوده وسط القطيع يتحول إلى نغمة نشاز أو عنصر قلق يسلب أفراد القطيع راحتهم فى النعاس والنوم واجترار أحلام اليقظة التى لن تتحقق، ولذلك يسارع أفراد القطيع إلى الدفاع عن أنفسهم بالسخرية منه حتى لا يفكر أحد فى أن يحذو حذوه.

هنا تبرز ضرورة الصلابة والصمود والإصرار والإرادة الذاتية التى تعد الأساس الحقيقى للنجاح الداخلى.. فإذا أصر الإنسان الأصيل على مواجهة روح القطيع بالموضوعية الفكرية الواضحة المحددة، فإنه يمكن أن يخلق تيارا فكريا جديدا يضم إليه كثيرين من المقتنعين به . وبذلك يجدد الحركة الفكرية داخل المجتمع ويكثر من قنواتها بدلا من سيرها فى قناة واحدة.

عندئذ سيشعر الإنسان أن اقتناعه بذاته ونجاحه الداخلى قد انتقل إلى الآخرين ، وبذلك فانهم يستفيدون من تجربة إنسانية خصبة أصيلة بلون أن يمروا فيها بمراحل المحاولة والخطأ .

ان النجاح الداخلى للإنسان مرتبط أساسا بضميره، فإذا تبعه النجاح الخارجى كان بها. وإذا لم يتبعه كان بها أيضاً. فيكفى استمتاع الإنسان براحة ضميره وتوافقه مع نفسه. أما النجاح الخارجى الذى يراه الآخرون ويعجبون به فكثيرا ما يتنإلى مع القيم الأخلاقية والمثل العليا لأن الناس لا يرون سوى الظاهر. ومن الممكن أن يرتكب الإنسان أبضع الرذائل فى سبيل أن يحقق الجاه والثراء، لكن الآخرين لن يروا سوى الجاه والثراء.. فالأخلاق الإنسانية الرفيعة تتنإلى تماماً مع مبدأ ماكيا فيللى الذى ينادى بأن الغاية تبرر الوسيلة فهناك فرق شاسع بين النجاح الداخلى والنجاح التجارى.. ولقد استوعبت هذا الدرس من عملى فى السوق والأعمال الحرة.

4

كان من سوء طالعى أن اشتغلت فى فترة من فترات حياتى فى السوق، وكنت وقتذاك أجرى وراء لقمة العيش لى ولأسرتى.. وحين أعود بذاكرتى اليوم إلى تلك الأيام وإلى من تعاملت معهم أذهل واعجب لهذا الموكب العجيب الذى عشت فيه سنوات تعلمت فيه أن أكره السوق ومعاملات السوق وتقاليد هذا السوق.. أننى لا أنكر أننى صادفت أناسا أطهارا شرفاء مازالت تربطى بهم صداقات ومودات. ولكننى إلى جانب هؤلاء بلوت كثيرا من ذلك الطراز الذى لا يعرف فى معاملاته إلا المساومة وإلا اللف والدوران. يكون حقك ظاهرا ومثبوتا ومكتوبا ولكنك تصدم حين يجابهك هذا الطراز الممقوت من رجال السوق بالتجاهل والإنكار . والأعجب من ذلك أن هذا الطراز يؤمن فى قرارة نفسه بحقك ويعلم تماماً ما يجبب أن يؤديه ، لكن عوامل الشره والأنانية تصور له أنه يستطيع أن يكسب منك بطول المحاورة وبكثرة المداورة مايرضى جشعه ويروى أنانيته.

86 1وصيتى

كنت أفكر وأنا أتعامل مع هذا الطــراز، لا لاقنعــه بوجاهــة حقــى وسلامة موقفى وشرف مقصدى، وإنما كنت أفكر كيف أستطيع أن أنبه مثل هذا المخلوق إلى أن مسلكه فى الحياة يجرده من الإنسانية ويجرده من الشرف، فقد يستطيع أن يكسب بالمحاورة والمــداورة. دريهمــات ولكنه سيخسر فى النهاية شرفه وضميره، وستكون أنانيته وجشعه خير وسيلة لكى ينبذه الناس فلن يقبل أحد أن يتعامل معه أو يصادقه لأنــه انحط بغرائزه إلى أسفل سافلين. ولم أجد إلا حلا واحدا للتعامل مع مثل هؤلاء الخادعين هو الصلابة والصمود فى قوة وراء الحق مهما كــان الثمن .

وتركت السوق إلى السياسة وفى السياسة صادفت هذين النوعين لا فى الأشخاص ولكن فى الدول التى تبرر الغايات بالوسائل. ان الغايــات فى تقديرى لا يمكن أن تنفصل عن الوسائل وهذه حقيقة لا يــدركها إلا الإنسان الذى بلغ مرحلة اليقين لأنه ليس على استعداد أن يحقق نجاحا يرضى عنه الآخرون بينما لا يرضى هو عن نوعية الوسيلة التــى أدت به إلى مثل هذا النجاح. ويكفى أنه سيفقد السلام الروحــى والتوافــق الذاتى داخله ولذلك ستكون خسارته أعظم من أى مكسب مادى حــصل عليه.

ولى تجربة شخصية مع عبد الناصر على مدى 18 سنة من العمــل السياسى .

كانت شخصية عبد الناصر أسطورة ضخمة لها من الآثـــار والأبعـــاد مالأ يمكن حصره فى هذا المقام.. واست!ع أن يقـــدم للأمـــة العربيـــة الزعامة التى طال انتظارها لها. وعشت بجانب عبد الناصر طوال هـــذه الفترة دون أن أشعر بأى قلق أو ضيق. وهذه من الأشياء التى طالمـــا سألنى عنها كثيرون من الناس . خاصة عن السر فى أنه لم يحدث أى خلاف بينى وبينه وذلك على النقيض من الزملاء الآخرين الذين اختلفوا معه وتركوا له الحلبة تماماً والحقيقة أنه ليس هناك ثمـــة ســـر علـــى الإطلاق ، فقد دفعنى إيمانى بالنجاح الداخلى إلى رفض التكالـــب وراء أى منصب أو وظيفة أو جاه.

أقنعنى إيمانى بذاتى واستقلالى بفكرى أننى أكبر من أى منـــصب أو وظيفة أو جاه وعلى ذلك ليس هناك مجال لكى أخوض أى صراع مـــن أى نوع كان. فليست لى مطالب شخصية ويكفينى أن حلمى الأزلى بقيام الثورة قد تحقق وأصبحت قيادتها فى يد زميل الشباب وصديق العمر.. ومادام الاحترام المتبادل هو الأساس الذى نهضت عليه صـــداقتنا فـــلا مجال لأية معارك شخصية بيننا. ولكن هذا لا ينفى وجود اختلافات بيننا فى الوسائل والأساليب.

من المعروف أن كل إنسان على وجه هذه الأرض يختلف عن الآخر اختلاف بصمات الأصابع. سواء فى البيئـــة أو العائلـــة أو النـــشأة أو التربيـــــة أو التـــــعـــليم أو الثقافـــــة . وهـــــذا الاختـــــــلاف

الطبيعى لا يتعارض مع الزمالة أو الصداقة. ومن السذاجة وقصر النظر أن نطلب من إنسان أن يتحول إلى نسخة باهته من إنسان أخر مهما كان حبنا واحترامنا لهذا الإنسان ولذلك دهشت من المغرضين أو المرتزقة الذين طالبونى أن أسير بنفس الأساليب التى أتبعها عبد الناصر لأن المسألة هى مسألة غاية وليست مسألة وسيلة .

كم كانت لى جلسات طويلة مع عبد الناصر سواء فى بيته أو فى بيتى واستمرت هذه الجلسات حتى قبيل وفاته .

وكان عبد الناصر مدركاً ومتقبلا لاختلافى معه فى الأساليب والوسائل. وقد اقتضت الحكمة إلا أذيع شيئاً عن هذه الخلافات لأننى لست من هواة المناورات والصراعات واستعراض العضلات. ولأننى كنت مؤمنا بأن عبد الناصر فادر دائماً على التصرف، ومادام هذا هو إيمانى واقتناعى فلا ضرورة لمشكلات أنا فى غنى عنها أيضاً فإن مشكلة الحكم تقتضى وجود رجل مسئول مسئولية أخيرة وتاريخية عن اتخاذ القرارات المصيرية والحكم بعد ذلك للشعب له أو عليه وذلك عن طريق تقييم قراراته.

لعل أكبر اختلاف فى جوهرى بينى وبين عبد الناصر أنه كان يسعى دائماً وراء بريق النجاح الخارجى الذى تمثل فى الدعاية الضخمة والأعلام الملتهب باستمرار. لذلك صور له البعض من مراكز القوى أن افتعال المعارك المستمرة يجعل

الضجة عالية وصاخبة على كل ما عداها من نغمات وأصوات. أما أنا فأيمانى بالنجاح الداخلى قد منعنى من خوض أية معركة إلا إذا كانت مصيرية وحاسمة من أجل مستقبل مصر وبصرف النظر عن أى دلالات إعلامية أو دعائية . خط مصر السياسى والفكرى قوى وثابت طريق المستقبل واضحا ومحددا فلا ضرورة إطلاقا لقرع الطبول التى تصم آذاننا قبل أى آذان أخرى .

ولعل هذا الضجيج السياسي كان يتمشى مع طبيعة عبد الناصر الذى كان يعيش دائماً على أعصابه.. فقد كانت حيائه عبارة عن وتر مشدود طوال الأربع والعشرين ساعة . وفى الواقع لم يكن عبد الناصر يفتعل هذا الجو المتوتر الصاخب على سبيل إحاطة الحكم بالهيبة اللازمة، بل كانت هذه طبيعته سواء قبل الثورة أو بعدها.. منذ أن خطط للثورة، وبعد أن أصبح عضو مجلس قيادة الثورة، ثم رئيسا له حتى تولى رئاسة الجمهورية. كانت طبيعته المتوترة سمة أساسية فى تكوينه منذ العشرين من عمره ولم يستطيع التخلص منها بل يبدو أن أعباء الحكم ومسئولياته قد ضاعفت من حدتها .

وجعلت هذه الطبيعة المشدودة الاقتراب منه شيئاً ليس بالسهولة التى تخطر على بالنا فقد صنع هذا الجو المتكهرب حاجزا صلبا بينه وبين الآخرين ، لذلك لم يكن لعبد الناصر صداقات بالمفهوم البسيط لمعنى الصداقة . أما صداقتى له

فكانت تعتمد على قيمة إنسانية كبيرة من القيم التى شكلت حياتى منذ الطفولة . هذه القيمة هى الوفاء الذى تعلمته فى القرية والذى كان النبع الرئيسى الذى أمفى بالسلام الروحى والنجاح الداخلى. وهما العنصران اللذان بدونهما لا يمكن يكون الإنسان منطقيا، سواء مع نفسه أو مع الآخرين. لذلك تجنبت كل مظاهر الصراع أو الحقد أو الغيرة التى حاول الآخرون الادعاء بوجودها بينى وبينه وهذا يفسر ردى السؤال الذى ووجهت به أثناء أول زيارة لى لفرنسا بعد أن توليت المسئولية. كان السؤال هل أحس بالغيرة كلما ذكر أسم جمال عبد الناصر أمامى مثلما كانت الغيرة تنهش بومبيدو كلما ذكر اسم ديجول فى حضرته " ؟

أجبت على السؤال بقولى: لم أشعر بهذه الغيرة إطلاقا ،لأن جمال كان زميلى وصديقى وأخى، وكانت ثقتى فيه كاملة ومطلقة . ومهمتى الآن لا تتيح لى الانشغال بمثل هذه الأحاسيس العابرة السطحية ، إذ أننى منهمك فى إكمال وتصحيح المسيرة التى بدأها عبد الناصر عن اقتناع وعن إيمان .

معنى النجاح الداخلى
191

5

لعل إيمانى بالنجاح الداخلى يرجع إلى طبيعتى الريفية الهادئة التى علمتنى أن أتجنب كل ما من شأنه أن يوتر أعصابى بقدر الإمكان ، و لكن مع الإصرار الموضوعى لتحقيق الهدف المنشود. فأنا أحدد دائما ما أريده وما لا أريده. لذلك فأنا مرتاح نفسيا وعصبيا لأننى لا أعلق حياتى بأمل قد لا يتحقق ولا أخاف من طريق قد يصبح مسدودا، لأننى أضع فى اعتبارى دائماً طرقا عدة تؤدى إلى نفس الهدف. ولا يهمنى الدعاية التى اكتسبها أو لا اكتسبها وأنا فى طريقى إلى تحقيق هدفى طالما أننى مقتنع داخليا بالوسيلة التى أستخدمها لبلوغ الهدف، لأنه غالبا ما يتبع النجاح الخارجى النجاح الداخلى بعد أن يقتنع به الجميع عندما يتحول إلى حدث مادى لا يستطيع إنكاره أحد .

ولقد علمنى النجاح الداخلى أن الدعاية ليست سوى صورة إعلامية لما يجرى بالفعل . ومهما تضخمت الدعاية السياسية وارتفع ضجيجها فلن تزيد من حجم أو وزن أو تأثير

العمل السياسى الذى يجرى على أرض الواقع. بل ان الخطـورة تبـرز عندما يكتشف الناس أن الدعاية كانت جعجة بلا طحن ، عندئذ يفقـد الناس الثقة تماماً فى القيادة كما حدث فى أعقاب هزيمة يونيو 1967. وقد استوعبت هذا الدرس تماماً فى إعدادى لمعركة أكتوبر 1973 فعلى الرغم من الضغوط الخارجية و التمزقات الداخلية التى حاولت تـشويه صورتى والتشكيك فى أى عمل أقوم به. لم أحـاول أن أشـحن الأمـة بدعاية مضادة، بل اعتبرت أن هذه كلها فقاقيع لن تلبـث أن تتلاشـى بمجرد البدء الفعلى لمعركة العبور والتحرير وقد كان . وتغير العالم كله بعد أكتوبر واكتسبت مصر من الدعاية العالمية ما لم تكن تحلم به فـى يوم من الأيام .

كان أروع إنجاز فى معركة أكتوبر أن نجاحها الخارجى كان قائمـا أساسا على نجاح داخلى قائم على الأيمان واليقين ووضـوح الرؤيـة، والثقة بالنفس. ولذلك مازالت موجات هذه المعركة الخالدة تتدافع على شواطئ بلاد العالم كله دون استثناء إن النجاح الداخلى هـو الركيـزة الحقيقية لكل الإنجازات الإنسانية سواء على المستوى الذاتى الخاص أو المستوى القومى العام . من هنا كان أملى فى اعتناق أولادنا لهذا المبدأ الذى يؤكد أن النجاح الخارجى الذى يلهث خلفه الجميع لـيس سـوى الواجهة الظاهرية للقيمة الإنسانية العظمية المتمثلة فى النجاح الداخلى.

الفصل التاسع

الانفتاح : عمالـــة وإنتـــاج

www.anwarsadat.org

1

من الخطأ أن نظن أن الانفتاح سياسة جديدة على مصر.. فموقع مصر الجغرإلى فى ملتقى ثلاث قارات.. أى فى بؤرة العالم تقريبا، يجعل الانغلاق سياسة تتنإلى تماماً مع طبيعتها الجغرافية ، وموقعها الحضارى، وتراثها التاريخى.. فمصر هى البلد الذى منح العالم كله أول حضارة ولا يعقل أن ينغلق على نفسه بلد معطاء مثل مصر.. وحتى إذا لم نتوغل فى تاريخها العريق الضارب فى القدم إلى مدى سبعة آلاف عام فسنجد أن مصر كانت أول بلد فى المنطقة العربية والأفريقية ينفتح على الحضارة العالمية منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وبذلك كانت أول من حطم الجدران الكئيبة التى حاصرت بها الإمبراطورية العثمانية العالم العربى والإسلامى لمدة تزيد على أربعة قرون.. لقد سافر رفاعة الطهطاوى وغيره من المثقفين والمفكرين المصريين إلى عواصم الحضارة الأوروبية تطبيقا لسياسة الانفتاح التى بدأها محمد على لكى يقيم فى مصر دولة

عصرية بمعنى الكلمة طبقا للتعبير الذى كان سائدا فى تلك الأيام .

ومصر بطبيعتها وشخصيتها القومية المتبلورة لا تخشى الانفتاح على الآخرين لأنها تملك من المناعة الحضارية ما يجعلها فى مأمن من أى غزو فكرى من شأنه أن يميع شخصيتها او يمحوها. والأمم التى تفرض على نفسها ستارا حديديا مصابة أساسا بالرواسب ومركبات النقص التى تجبرها على التقوقع بعيدا عن تيارات الحضارة التى تخشى أن تجرفها دون أن تملك لنفسها إرادة . خاصة أن الانفتاح ليس انفتاحا اقتصاديا فحسب بل له من الجوانب الاجتماعية والفكرية والثقافية ما يعمل باطراد على تطوير المجتمع ومساعدته على مواكبة روح العصر.

وإذا لم تكن شخصية الأمة متبلورة قوميا فمن المحتمل بل من الممكن أن تدخل فى فلك الآخرين وتصير من الأتباع والذيول . لكن شخصية مصر الحضارية ذات السبعة آلاف سنة لا يمكن أن تخشى غزو الآخرين الذين استقوا حضارتهم أصلا منها .

والانفتاح الاقتصادى يمثل الخطوة المادية الأساسية الأولى لما يتلوه بعد ذلك من خطوات.. وفى عصرنا الحديث أصبح الانفتاح الاقتصادى من أهم المبادئ التى ينهض عليها الاستقرار الاقتصادى وخاصة أننا فى عالم قصرت فيه المسافات

إلى حد مذهل.. وتقاربت البلاد وتشابكت المصالح بحيث أصبح الاكتفاء الذاتى من ملامح عصور مضت ولن تعود. ونحن ندرك هـذه الحقيقـة جيدا فى مصر خاصة بعد التجربة العملية التى خضناها فى حرب أكتوبر المجيدة ووجدنا أن أسعار السلع فى جميع أنحاء العالم بدون استثناء قد تضاعفت. وهذا أكبر دليل على أن العلاقات الدولية أصبحت متـشابكة إلى الدرجة التى صار فيها الانفتاح سياسة حتمية يجب الاستفادة منهـا بكل الطرق الممكنة.

إن الصمود الاقتصادى هو جسر العبـور مـن التخلـف والقـصور والجمود الذى فرض علينا إلى التعمير والتنمية والانطـلاق، ارتفاعـا بمستوى الشعب. ولذلك لا يقل الصمود الاقتصادى أهمية عن الـصمود السياسى والعسكرى إزاء القوى التى علينا أن نواجهها بكل حزم وثبات وانتباه.. فالأم يقاس حظها فى تحقيق أمانيها.. وتقـاس قـدرتها فـى التأثير على مصائرها باستقرارها السياسى، وقوتها العسكرية، وسلامة موقفها الاقتصادى. وإذا كان الانفتاح يدعم الموقف الاقتـصادى فإنـه يدعم الموقف السياسى أيضاً لأن الاقتصاد والسياسة لا ينفصلان. فـلا يمكن أن يعيش الشعب مستقرا إذا كان قلقا على رزقـه، قلقـا علـى مستقبله. قلقا على قيمة ما لديه من نقود وما يتـاح لـه مـن سـلع وخدمات.

والاضطـراب الاقتصـادى من اعتـى مشكـلات هذا العصر

حتى بالنسبة للبلاد المتقدمة. فإذا كانت البلاد النامية تقاسى من التخلف الاقتصادى والمجاعات الفعلية فإن البلاد المتقدمة تعانى من التضخم والبطالة الرهيبة . وتلك أحد أمراض عصرنا ومتنا قضاته أن تمرض فيه شعوب من التضخم ويموت فيه ملايين من الجوع. ولقد نجحنا حتى الآن فى عدم الوقوع فى مهاوى هذا الاضطراب الاقتصادى الشامل. وهو إنجاز لا يقل عن معجزة ، خصوصا فى ظروف بلد حارب وقاسى وتحمل الدمار ويتحمل الآن أعباء إعادة البناء .

لقد تحقق هذا لنا بفضل قاعدة الصناعة الكبرى التى أقامتها ثورة 23 يوليو المجيدة وبفضل ما أنجزته الثورة من توسيع قاعدة العدالة الاجتماعية، ما نعمل على الأخذ به من مظلة التأمينات إلى اكبر قطاعات ممكنة. والاستمرار فى سياسة العمالة الكاملة، وتحمل الأعباء الجسام للاحتفاظ بأسعار السلع الأساسية خاصة المتصلة بقوت الجماهير.؟ تحقق هذا بفضل استبسال قواتنا المسلحة التى حققت لنا النصر وجعلت العالم ينتبه إلى أهميتنا ودورنا ويتسارع إلى التعامل معنا والانفتاح علينا .

لكن حركتنا من أجل إنجاز العبور الاقتصادى إلى البناء والتقدم جاءت على موعد مع هذا الاضطراب الاقتصادى العالمى وما يجلبه من مخاطر هائلة . وهذا أمر يضاعف من أعبائنا ومسئولياتنا . فإننا مهما بذلنا من جهد فلا يمكن أن نفلت

من التأثر ولو بدرجة ما، من هذه الظروف العالمية. مادمنا لا نقيم حول بلادنا ستارا حديديا. ومادمنا محتاجين أن نشترى من الخـــارج كميـــات ضخمة من الأغذية والآلات والأسلحة على حد سواء .

وقد يكون من السهل رفع الصوت بالمطالبات وقد يبدو مغريا للبعض أن يصرخ مطالبا بإنجاز كل شىء وإصلاح كل شىء والقضاء على كل نقص بين يوم وليلة وقد ننزلق دون أن ندرى إلى حلقة مفرغـــة مـــن السباق بين الفئات والهيئات فى المطالبة بالحقوق وبغض النظـــر عـــن حق الوطن كله وحقوق سائر فئات الشعب فيما نملك وفيما هو متـــوافر لدينا. ولكن أى شىء من هذا خليق أن يفسد أكثر مما يصلح. ويـــضر أكثر مما ينفع وقد تحل اليوم مشكلة لكى يوجد فى الغد عشرة أمثالهـــا من المشاكل .

2

إن الانفتاح الاقتصادى لا يعنى عدم إدراك أخطار هـذه الـدعوات السهلة فى لغة الكلام فلا شك أن هذه الأخطار تبرز فى أبـشع صـورة عند التطبيق والتنفيذ. وعلينا أن نلاحظ ثمة عدة اعتبارات كبرى تـؤثر فى تحركنا الاقتصادى.

أولا: ضرورة الحصول على السلاح وكل ما يتعلق به من تكاليف. فالسلاح لا يتساقط مطرا علينا. وإذا كان الأخوة العرب قد ساعدوا حينا فى هذا المجال مشكورين فإنه يجب أن نعلم ويعلم أيضاً أخوتنا العـرب أن الجزء الأكبر من العبء كنا ومازلنا ندفعه نحن من عرقنا وكـدحنا وحرماننا.. وأننا ففعل ذلك أداء لواجب اسمى نحو أنفسنا ونحو الأمـة العربية جميعا .

ثانيا: التضخم العالمى وزيادة أسعار كل ما نستورده كما ذكرت مـع حرصنا على الاحتفاظ بمستوى السلع الأساسية . فرغيف الخبز مـثلا الـذى يبـاع بنصـف قرش يكلـف الخـزانة العامـة بعـد الأسعـار العالمية الأخيرة (عام 1977) خمسة قروش

وهذا ينطبق على كل شيء من مواد البناء إلى آلات المصانع وقطع الغيار .

ثالثا : أن زيادة السكان عندنا مازالت تسجل معدلا شديد الارتفاع. فالسكان فى مصر تضاعفوا منذ الثورة وأصبحنا الآن نزيد بمعدل مليون نسمة كل عام وهذا يعنى زيادة بالطبع فى استخدام المرافق ، وزيادة فى مصاريف الدراسة وفى تشغيل الخريجين من المدارس والمعاهد والجامعات. ولابد أن تخصص مجالات التنمية ما يسبق هذه الزيادة الضخمة فى الاستهلاك بغير هذا لا يرتفع مستوى المعيشة لمجموع المواطنين.

رابعا : إننا كما نقيم الجديد فى مجالات التنمية والإنتاج فإننا نواجه ضرورة إصلاح القديم واستكمال النقص وبوجه عام تعويض كل ما تجمد أو تأخر طوال سنوات النكسة السبع .

يعنى هذا أنه لابد لنا من التفكير فى الأولويات الحيوية.. هناك أولوية إعادة الطاقة الكاملة لكل مرافقنا التى هبطت طاقتها إزاء أعباء المعركة.. هناك أولوية العمل بإصرار على زيادة الإنتاج بأسرع ما يمكن أن يزيد به الاستهلاك. فالدرس الأعظم من ظروف عالم اليوم فى المجتمعات الغنية والمجتمعات الفقيرة على السواء هو أن زيادة الاستهلاك على الإنتاج معناه الأزمة والإفلاس . وإن زيادة الإنتاج مع التضحية مؤقتا بزيادة الاستهلاك معناه التقدم والرخاء القائم على أساس علمى متين .

وإذا كان من حق الشباب المثقف المتعلم المطالبة والحساب فإن من واجبه أيضاً الارتفاع عن مستوى المصالح الضيقة لفئة أو لمنطقة إلى مستوى مصالح الشعب ولكل الأوقات . ومن واجب الشباب أيضاً بحكم ثقافته ووعيه أن يخاطب الشعب الذى نبع منه ويشرح له حقائق الأمور، ويبصره بالسياسات التى نؤمن بها جميعا . أن كل واحد من الشباب حين يناقش قضية ما ، أن يحس بمطالب الشعب من جهة وأن يضع نفسه موضع المسئول من جهة أخرى، يفكر معه ويدرس معه ويقترح الحلول معه. بهذا يقوم الشباب بدوره الواعى بدلا من أن يقتصر دوره على انتظار تعيين القوى العاملة بعد تخرجه ثم التبرم بالمرتب الضئيل الذى يحصل عليه . هذا التبرم يرجع إلى أن الشباب إلى الآن لم يدرك مرحلة ما قبل الثورة حين كان التعليم الجامعى مقصورا على طبقة معينة ، وبعد التخرج يمكث الخريج عاطلا سنوات عديدة حتى يحصل على وظيفة يرزق منها .

www.anwarsadat.org

3

أننا الآن نضع سياسة الانفتاح كاملة موضع التطبيق دون قيد سوى أن يؤدى المواطن للدولة حقها الذى تنص عليه القوانين فيقترن توفير الحافز بإقرار الواجب المترتب عليه . فلابد ونحن نطق الحريات وندعو إلى الانفتاح أن يكون للقانون هيبته، وللمال العام حرمته وللمرافق والخدمات نزاهتها. وهذا يتطلب التأكيد دائماً على الطهارة الثورية شرطا لتحمل المسئولية ومزاولة أى نشاط ، فلا يكون هناك انحراف أو استغلال غير مشروع ، وذلك بترشيد الأجهزة وتوحيد جهات الرقابة والأخذ بالسرعة والحزم فى الثواب والعقاب على السواء .

ولكن لن يتحقق الانفتاح، ولن نشعر بإثارة العملية فى حياتنا اليومية إذا لم نتخلص فعلا من الروتين ، والتعقيدات المكتبية، والبيروقراطية الإدارية ، والقوانين واللوائح التى لم تعد تجارى الزمن.. فنحن لم نتقدم على طريق إزالة هذه العقبات كثيرا. ومادامت موجودة، فلا نلوم موظفا عاما إذا عالق وتصرف أسيرا لها ، محكوما ومقيدا بها . وهنا يتحتم البدء فورا وصيتى204

فى تجديد شباب القوانين واللوائح ، والعمل الحقيقى من أجل سرعة إصدارها ، بعد أن ظهر أن الكثير مما نسميه اختنا قات مرجعها هذه النصوص والأحكام التى لم تعد تجارى الزمن ولا تلبى متطلبات العصر.

فلا يعقل أن نبذل أقصى ما فى وسعنا لكى نجلب رؤوس الأموال الأجنبية لتوظيفها داخل ع مصر ثم تقف القوانين واللوائح كعقبات مستحيلة فى طريقها فتكون النتيجة أن تهرب مرة أخرى إلى خارج مصر، إلى بلاد لا تخضع لهذه اللوائح البالية.. إننا بدون حل المشكلة الإدارية سندخل فى دائرة مفرغة كفيلة بأن تجعل من الانفتاح مجرد لافتة مرفوعة أو شعار على الورق.

ويهمنى أن أنبه هنا أن الانفتاح ، لا يعنى إطلاقا إلغاء القطاع العام تدريجا وإطلاق يد القطاع الخاص فى عمليات. الإنتاج. فهذا ما يروج له المغرضون من دعاة الانغلاق والعودة مرة أخرى إلى الستار الحديدى الذى عشنا داخله 18 عاما بدون أى مبرر من مبررات علم الاقتصاد. إن القطاع العام هو القاعدة الأساسية فى البلاد سواء فى مجال الإنتاج أو الخدمات وسواء على المستوى الزراعى أو الصناعى . وعلى الرغم من السلبيات التى تعترض الأسلوب الذى يعمل به ، فإنه يعود على البلاد بحوالى التى مليون جنيه سنويا. وقد قام القطاع العام بدور تاريخى لا يمكن إنكاره فى سنوات الهزيمة " السبع (967 1- 973 1) فقد عمل على توفير معظما السلع؟ الاستهلاكية اللازمة لمجتمعنا .

www.anwarsadat.org

ولكننا عندما ندعو إلى تطوير القطاع العام فأننا نهدف إلى تخليصه منن السلبيات التى تعوق إنتاجه على الوجه المرجو وذلك إيمانا منا بقدرة الإنسان المصرى على البناء وكفاءته التى يدل عليها ارتفاع مستوى تدريبه، ومدى طاقته فى المساهمة الفعلية فى هذه الخطة . لهذا نعمل الآن على استخدام مواردنا الاستخدام الأمثل، خاصة أن لدينا الكثير من الموارد المتاحة، والتى يمكن أن تعطى العائد الكبير بشرط مواكبة الثورة الإدارية لها وبناء الإنسان المصرى بناء سليما متينا، وهذا لن يتأتى إلا بالتوسع فى التدريب الفنى وإعادة الاحترام إلى قيمة العمل اليدوى الذى لا يقل بل يزيد فى قيمته كثيرا عن العمل المكتبى الذى أصاب حياتنا بالعقم.

والمدخل الرئيسى إلى تطوير القطاع العام يتمثل فى إطلاق حرية الوحدات العاملة فيه بشرط أن تكون هناك هياكل وظيفية واضحة بالنسبة للعمالة، وأن يكون هناك فوقف اقتصادى محدد بالنسبة للوحدات الصناعية أو الإنتاجية بحيث يمكن محاسبتها بالأسلوب السليم.

فسوف يؤدى هذا إلى حرية الإدارة ومرونتها وإلى إطلاق طاقات كل العاملين فى هذه الوحدات .

لابد إذن من إتاحة الحرية لكل وحدة من وحدات القطاع العام خاصة فى أسلوب الإدارة الذى تسير به شئونها .

بهذا وحده يمكن أن تكون مسئولة فعلا عن المساهمة فى

الاقتصاد القومى بدلا من أن تقف مشلولة أمام تنفيذ اللوائح العامة ذات النصوص الجامدة التى لا يمكن أن تحيط بكل تفاصيل العمل فـــى كـــل وحدة على حده. يضاف إلى هذا انتخاب جمعية عموميـــة لكـــل وحـــدة يكون من اختصاصها مراقبة وتتبع سير العمل ، ثـــم تعـــرض عليهـــا الميزانية والإنجازات التى حققتها أو التى لم تحققها ولماذا؟ ومع تطبيق مبدأ الحساب بالثواب والعقاب بالنسبة للأهداف التى تحدد لكل وحدة من الوحدات الإنتاجية أو الخدمية ، ومدى قدرة العاملين فى هذه الوحـــدة على تحقيق هذه الأهداف ، يكون هناك نظام الحوافز المفتوح ، ونظـــام الأجور الذى يتناسب مع طبيعة عمل وإنتاج هذه الوحدة بصرف النظـــر تماماً عن التسعيرة التقليدية لشهادات العاملين و مؤهلاتهم .

www.anwarsadat.org

4

وقد تسببت فترة الانغلاق والستار الحديدى فى تعطل الكثير من الأقسام فى الوحدات الإنتاجية، نتيجة للقيود الاقتصادية والإدارية المفروضة على استيراد أو شراء مستلزمات إنتاجها بصفة مستقرة ومستمرة فلابد أن نتوقع دائماً أن هناك من الآلات مثلا ما يحتاج إلى التعديل والتجديد، وإذا لم تكن قطع الغيار متوافرة فستضيع الطاقة والجهد والوقت بالإضافة إلى أننا نعانى من الفاقد من الطاقة البشرية فى نفس الوقت. ولذلك عندما نطلق حرية هذه الوحدات فلابد أن نوفر لها احتياجاتها لمستلزمات الإنتاج سواء بالنسبة لقطع الغيار أو رفع مستوى الأداء فى الطاقة البشرية. فإذا حققنا هذا طبقا للأوضاع الحالية. وبلا توسع فى وحداتنا الإنتاجية، فمن الممكن أن نستثمر الوحدات القائمة فعلا بحيث نحصل على عائد يزيد 30% عما نحصل عليه حاليا، وذلك ببعض التحسينات التى لا تكلفنا فى عملية الاستثمار الكثير .

www.anwarsadat.org

ويحتم علينا الأسلوب العلمى فى الإدارة الحديثة إلا نبدأ فى بناء وحدات جديدة قبل أن نستكمل مشروعاتنا التى لم تتم بعد. فيجب أن نستكمل تشغيل وحداتنا القائمة فعلا بأحسن أسلوب ممكن أن نشغله بها. فلن يزيد الإنتاج إلا باتباع أساليب الإدارة الحديثة، وبإطلاق حرية هذه الوحدات ويرفع كفاءة العاملين فيها. وعلاوة على ذلك فقد حرص القرار الجمهورى الذى أصدرته بطرح بعض أسهم الشركات المشتركة فى الأسواق على أن تعرض على العاملين فى هذه الشركات للمساهمة فيها ثم بعد مرور شهر تطرح على المواطنين على أن تباع لهم فئ الحدود المقررة بالنسبة لتملك أسهم الشركات المساهمة وهو مبلغ عشرة آلاف جنيه.

هذه الشركات شركات مشتركة فعلا.. أى أن هناك جزء يملكه القطاع الخاص فى هذه الشركات وهذا يساهم فى حل مشكلة السيولة المالية بالإضافة إلى توفير الحافز الاجتماعى الذى يتمثل فى شعور العامل بملكيته لبعض الأسهم فى الشركة التى يعمل بها. هذا الشعور يشكل نوعا من الانتماء إلى الشركة، والحرص على زيادة الإنتاج وتطوير العمل بها.

وبالتالى يؤدى هذا إلى زيادة أرباح العمال. فالحافز الاجتماعى يمكن أن يكون له مفعول السحر فى نفوس العاملين

www.anwarsadat.org

عندما يرون أن كل زيادة فى الإنتاج والخدمة سوف تعود عليهم شخصيا بالفائدة المادية الفعلية .

وبالنسبة للسلبيات التى تعترض أداء القطاع العام . فإنه يتحتم على الوحدات الخاسرة أن تقوم بتطوير نفسها حتى تصل إلى مستوى الجدية المعقولة من الربح بحيث لا تترك كنزيف مستمر تتحمل الدولة الإتاوات فيه. ودفع التعويضات إلى هذه الشركات. وهذه ضرورة ملحة لأن معدلات التنمية فى مصر مازالت دون الحد الأدنى بالنسبة للإنتاج . إنه من الممكن أن نمنح هذه الوحدات السلبية فى الإنتاج فترة تقوم فيها بسداد العجز وتطوير نفسها وإلا فسيصبح من المنطقى والطبيعى تصفية هذه الوحدات التى تشكل عبئا على الإنتاج القومى. بدلا من المساهمة فمه، خاصة أننا نعانى من التضخم السكانى والاستهلاك المتزايد .

إن تطوير القطاع العام بالانفتاح لا يعنى تصفيته كما يروج دعاة الانغلاق والستار الحديدى. فبعد إنشاء هذه القاعدة الصناعية الضخمة، وإرساء قواعد القطاع العام وتأصيل جذوره بحيث أصبح دخله يزيد على ألفى مليون جنيه فى العام يتضح لنا أن سياسة الانفتاح الاقتصادى وما تنص عليه من مشروعات مشتركة أو من جذب لرؤس الأموال العربية والأجنبية كمساهمة فى مشروعات التنمية، هذه السياسة

لا يمكن أن تشكل أى مساس بقومية الإنتاج. فهذه المشروعات والأموال لا تؤثر بشكل ما فى إمكان سيطرة رأس المال الأجنبى على مقدراتنا هذه ، لأن قاعدتنا الصناعية عريضة ودخلنا القومى كبير.

ومن الضرورى تحويل مجتمعنا من مجتمع استهلاكى إلى مجتمع إنتاجى عن طريق تنشيط القطاع العام لأنه يضيف إليه ويدعمه، أى أن القطاعين يكملان بعضهما البعض وليس ثمة تناقض بينهما فى العمل والإنتاج. فسوف يعود إنتاجهما على البلاد بالخير، ولذلك تحتم سياسة الانفتاح إطلاق حرية البنوك ومساهمتها فى عمليات الاستثمار، وفتح البنك الصناعى لأغراض التنمية وتقديم القروض والائتمان إلى الحرفيين، وفتح البنك العقارى وتدعيم رأسماله لكى يقوم بتمويل المشروعات الخاصة بالبناء والتعمير. بهذا سيكون العائد هو المزيد من الإنتاج والتنمية مع أسلوب الإدارة العصرية، والمزيد من الحوافز برفع مستوى الكفاءة فى التدريب، مع التخطيط السليم للقوى العاملة حتى يكون لدينا دائماً المجال لتصدير خبراتنا للدول العربية والأفريقية ولتوفير ما يمكن أن نوفره فى الداخل تنفيذا للخطة القومية الشاملة والاستراتيجية الحضارية التى تتطلع إليها مصر عام 2000. إذن فإن هدفنا هو تطوير القطاع العام وترشيده وليس

تصفيته بأى حال من الأحوال كما يدعى المغرضون والمرتزقة. أن القطاع العام هو أساس اقتصادنا القومى مهما شجعنا القطاع الخاص، ولولا القطاع العام فى السنوات السبع السابقة لمعركة أكتوبر لما استطعنا أبدا أن نصمد اقتصاديا فى وجه التحديات العسكرية والسياسية الطاغية. صحيح أنه فى أكتوبر 1973 كنا قد وصلنا اقتصاديا إلى مرحلة الصفر وما تحت الصفر أيضاً، لكن هذا لا ينفى أننا ظللنا سبع سنوات عجاف (197- 1973) نصرف وننمى بل واستمرت كل المكاسب الاشتراكية مثل التعليم المجانى والعمالة الكاملة ولكن فى حدود ضيقة إلى حد ما بحكم الضغوط الاقتصادية الرهيبة للأنفاق العسكرى . وهى الضغوط التى ساهم القطاع العام فى التخفيف منها إلى حد كبير .

وعندما نتكلم عن الانفتاح الاقتصادى وإتاحة الفرص للقطاع الخاص لكى يستخدم طاقاته المعطلة، فهذا لن يمس القطاع العام من قريب أو بعيد، فالطاقة الاقتصادية العاملة فى القطاع العام تزيد عن أربعة أضعاف القطاع الخاص، ومهما زادت طاقة القطاع الخاص فإنها لن تزيد فى نسبة زيادتها عن القطاع العام وهكذا. فالفرص متاحة للجميع فى عهد الانفتاح خاصة بالنسبة للمشروعات المشتركة مع الشركات والمؤسسات الأجنبية ولا شك أن وجود القطاع الخاص

سيحفز القطاع العام على التنافس والإجادة، فالمسألة لي!ست احتكـــارا ولكنها منافسة من أجل مصالح المواطن العادى و رفاهيته .

www.anwarsadat.org

الانفتاح عمالة وإنتاج 213

5

واجب أن يعلم الشعب أن الاشتراكية فى أساسها مبدأ إنسانى رفيع وضع لخدمة الإنسان.. وليست صنما يتعبد فى محرابه. إن الاشتراكية ليست توزيع الفقر بالعدل بل توزيع الرفاهية والخير. وهى ليست مستوردة لأن القرية المصرية كانت أول مجتمع إنسانى فى التاريخ عرف الاشتراكية كسلوك عملى بعيدا عن النظريات والشعارات الفارغة. ان الاشتراكية ؟ تعلمتها فى القرية هى اشتراك الجميع فى نفى الأدوات والخدمات وفى السراء والضراء.. فالمحراث الواحد مثلا ينتقل بين أكثر من حقل بصرف النظر عن صاحب الحقل الذى يمتلكه. وهذا يرجع إلى الكيان الأسرى الذى ليتمتع به مجتمع القرية .

وعندما أبذل أقصى ما فى طاقتى لكى تشمل مظلة التأمينات الاجتماعية كل إنسان على أرض مصر فإننى أستلهم لنى هذا قيم القرية المصرية التى تعتبر الاشتراكية تأمين الإنسان ضد العجز والشيخوخة والمرض . أن هناك محظورا واحدا فى

www.anwarsadat.org

الاشتراكية وليست هناك من محظورات غيره ، هذا. المحظور الوحيد هو استغلال الإنسان للإنسان وليس فى الانطلاق إلى التنمية استغلال للإنسان وإنما هو تنمية من أجل الإنسان . لهذا لاحظت قصورا فى فهم الظروف المتغيرة ومن ثم قصورا فى الإمساك بالفرص المتاحة أمامنا. وبرغم أن شعار الانفتاح قد تحقق ، فقد ظلت بعض الرواسب القديمة تتمسح أحيانا بشعار الاشتراكية ناسية أن الاشتراكية الحقيقية هى أن يصبح مجتمعنا كله لمجتمعنا من المنتجين .

ويجب أن نعترف أن بعض العوائق البيروقراطية ظلت تسد الطريق؟ حاولت دواما أن تسد الطريق أمام كل أمل لشعبنا وكل مطلب له، وتعثرت مشروعات ما كان لها أن تتعثر وتلكأت الإجراءات والتعقيدات وكأننا لسنا فى سباق مع الزمان نحاول تعويض ما فات واللحاق بالعصر كما ينبغى أن يكون اللحاق به ، كما يجب أن نعترف أن هناك من تصوروا أن الظروف الجديدة فرصة متاحة لهم شخصيا وليست فرصة متاحة لمجموع الشعب كله. هكذا لاحظت بكل أسف أن هناك ثروات تتراكم ويجىء تراكمها فى معظم الأحيان من أعمال طفيلية. وأن لم اكن ضد أن يكسب أحد بجهده ما يستحق، ولكننى على وجه اليقين ضد أن يكسب أحد على حساب غيره من الناس أو استغلالا ل!وفي الناس.

أننا لسنا مجتمعا لأصحاب الملايين وإنما نحن مجتمع للعاملين

المنتجين. إن هذا المجتمع لن يعود مهما حدث إلى حالة كان فيها قبل الثورة يوم أن كان نصف فى المائة فقط من السكان يحصلون وحدهم على نصف الدخل القومى. ذلك إفساد لا يقبل الشعب به وسوف أقاومه وسوف يقاوم الشعب معى. إننى لن أسمح بأعمال سمسرة طفيلية وبأعمال المضاربة والمغامرة ولا بالمتاجرة بالتهريب فى السوق السوداء ولا بتلاعب هذه الفئات الضالة بأقوات الشعب ومتاجرتها فى مصالحه. خاصة أن سياسة الانفتاح تهدف إلى تشجيع واعطاء الحافز للمزيد من استثمار رؤوس الأموال سواء كانت الأموال محلية أو إقليمية أو أجنبية لبلوغ هذه الغاية نقوم بطبع قوانينا بطابع تحررى وبإزالة القيود ومحاربة البيروقراطية وتشجيع المبادرة، وذلك بأسلوب أبعد ما يكون عن التسيب. إننا لم نصل بعد إلى تحقيق أهداف هذه السياسة بصفة تامة، ومازالت هناك بعض من مخلفات الماضى لكننا نعمل بهمة كبيرة من أجل تحقيق هذه الأهداف بتصميم لأننا نعلم أن إصلاح هيكل قائم يمكن أن يكون أكثر صعوبة من إقامة هيكل جديد، وكلما سرنا خطوات فى تطبيق هذه السياسة نقوم بعمل التصميمات والتعديلات الضرورية، ونأمل فى أن يصبح لنظامنا الاقتصادى الأدوات التصحيحية الخاصة به ، كما أننا ندرك الحاجة إلى إقامة توازن بين الاستقرار والمرونة وهو ما نقوم به على وجه التحديد.

ولعل من أهم جوانب سياسة الانفتاح ضرورة بث الطمأنينة لدى المستثمرين الأجانب وإقناعهم بأنهم لا يقومون بأية مخاطره عندما يستثمرون أموالهم فى مصر فى الوقت الحالى وفى الوقت الذى يكون فيه حجم التضخم جامحا والكساد الاقتصادى يسود عدة أجزاء من العالم فإن رأس المال يكون نادرا ومن الصعب الحصول عليه. لكننا نعمل كل ما فى وسعنا لنجعل من مصر نقطة جذب للمستثمرين مادام أدق هدفهم هو المنفعة المتبادلة وليس الاستغلال فأنهم سيجدوننا أكثر استجابة وتفهما لاحتياجاتهم. فنحن نحتم على أى نشاط اقتصادى أن يتلاءم مع خططا الشاملة للتنمية الاقتصادية التى تضع الأولويات للهدف القومى الذى نتطلع إليه، ونحن لا تخاطر بفقدان استقلالنا الاقتصادى أو برهن اقتصادنا، ولكننا نرحب بمشاركة مفيدة ومجزية يربح منها الجانبان. ولقد أصدرنا قانون (43 لعام 1974) لتنظيم الاستثمار الأجنبى والمناطق الحرة. وهو يمنح الاستثمار الأجنبى ضمانا

وإعفاءات عديدة . فالمستثمرون الأجانب هم الآن فى مأمن من التأميم والمصادرة ونزع الملكية أو الاستيلاء عليها. كما يضمن القانون أيضاً حرية تحويل الأرباح ورأس المال إلى البلد الذى أقى مها. وعلاوة على ذلك فقد انضمت مصر إلى الاتفاقية الخاصة بتسوية المنازعات حول الاستثمار من خلال البنك الدولى. وبالإضافة إلى ذلك عقدنا اتفاقيات ثنائية مع عدة دول توفر حماية إضافية لاستثمارات مواطنيها .

ولا تعتبر سياسة الانفتاح عملية التنمية عملا اقتصاديا محضا، فهى تشمل التنمية الاجتماعية وبناء المؤسسات الجديدة التى يجب أن تتسم بالمرونة والاستقرار معا ، وبقدرتها على التكيف مع معدلات التغيير السريعة التى أصبحت السمة الرئيسية فى عصرنا. كى تصر سياسة الانفتاح على توفير الاستمرار والاستقرار اللازمين لتجنب الهزات الضارة التى عانت منها بعض المجتمعات التى تسير على طريق التحديث. ولعل من أهم عات المؤسسات التى نسعى إلى بنائها أنها تتجنب تنمية مجتمع مزدوج الشخصية يسمح فقط لق!ع من الشعب بأن يجنى ثمار التقدم.

إن التنمية الاقتصادية من وجهة نظر سياستنا الانفتاحية هى دفع عجلة النمو وإحداث تغيير فى بنيان الاقتصاد المصرى بهدف بناء الإنسان المصرى. لذلك فإننا نحتاج إلى رأس المال والموارد الإنسانية على حد سواء ، لكننا نحتاج قبل أى شىء أخر إلى

عملية هائلة لنقل التكنولوجيا واستيعابها. لذلك فنحن نهدف إلى جذب المستثمرين الأجانب لكى يأتوا لا برؤوس الأموال وحدها بل وبخبراتهم ومعارفهم الفنية.. إننا نسعى إلى التعاون بدلا من التطاحن، والعمل بروح المسئولية بدلا من القيود الإدارية. وهى نفس الروح التى تشعر بها الإدارة تجاه حملة الأسهم وعن طريق المشروعات المشتركة، سيكون الشعب المصرى حاملا للأسهم فى هذه المشروعات سواء تم ذلك عن طريق المشاركة العامة أو الخاصة وقد تكون صيغة المشروعات المشتركة ذات طابع ثنائى أو ثلاثى حيث يتزاوج رأس المال الإقليمى مع الخبرة التكنولوجية للانضمام إلى الموارد المحلية لتنفيذ مشروعات بينها.

وهذه الصيغة للتعاون ثلاثى الأطراف لها جاذبيتها الخاصة ، فقد ثبت نجاحها الكبير أينما وضعت موضع التطبيق. ان موارد رأس المال الهائلة التى تراكمت فى المنطقة ومعها الخبرة الفنية والتكنولوجيا الحديثة تمثل مزيجا رائعا عندما تقترن بقاعدة راسخة من فرص الاستثمار. إننا بوضعنا* التكنولوجيا المستوردة فى خدمة المصالح المتبادلة للأطراف المعنية نضمن أن تكون هذه التكنولوجيا جزءا من تيار متدفق وليست عملا منفصلا عن مجرى الأحداث. وفى الوقت الذى تخلق فيه تكنولوجيا وأساليب إدارية وتسويقية جديدة لخدمة الإنتاج فانه سيكون من مصلحة المستثمرين أن يأتوا بها إلى مصر، وبناء صناعة قوية قادرة على البقاء والمنافسة.

7

وفضلا عن تقديم مصر للامتيازات والحصانات والضمانات العديدة فأننا نستطع المشاركة ببعض من رأس المال والمساهمة بعدد من الأسهم؟ أننا نبنى ونجدد الآن مرافقنا وخدماتنا الأساسية حتى ندعم قدرتنا على المنافسة، هذا بالإضافة إلى تطوير مواردنا الإنسانية عن طريق توفير المزيد من التعليم الفنى والتدريب المهنى يهدف اطلاع القوى العاملة فى بلادنا على أحدث التطورات فى عالم التكنولوجيا.

ولا تنسى سياسة الانفتاح الاستفادة بالمزايا المتمثلة فى الموقع الجغرافى لمصر والكمائن فى قلب أسرع مناطق العالم نمواً. ان بلادنا تمتلك فرصا لا تعد كما أن شعبنا قد عرف على مدار تاريخه بأنه شعب دؤوب وخلاق ومحب للعمل. وبفضل بنيان السلام الذى نشيده فإن الموقف سيصبح بالتأكيد أكثر انطواء على الأمل. لذلك فنحن نفعل كل ما بوسعنا لدعم التحرك من أجل السلام، ونصمم على إنتاج هذا السبيل من أجل خير شعبنا ولصالح الأم الأخرى. من هنا كان قرارى بإعادة فتح

قناة السويس كمساهمة من جانب واحد هو جانبنا لخدمة تجارة العالم ورفاهيته.

أن المعنى الحقيقى لسياسة الانفتاح يكمن فى الأيمان القوى بأن كافة الشعوب ستستفيد كثيراً ولن تخسر شيئاً من مضاعفة التبادل وتعزيز المعاملات فيما بينها. فالفائدة ستعود على الجميع سواء فى مجال الإنتاج أو العمالة. فكلما زاد الإنتاج احتاج إلى عمالة أضخم، وكلما زادت العمالة تضاعف الإنتاج بالتالى.. هذه هى الخطوة الأولى نحو الانطلاق الحقيقى نحو أفاق العصر الذى أ!بح فيه الاقتصاد أساس كل شىء فقد أنتهى عصر الشعارات واللافتات والأصنام الاشتراكية، وأصبحت الاشتراكية سلوكما عمليا وممارسة يومية من أجل بناء الإنسان المصرى ورفاهيته .

الفصل العاشـــر

كراســـــة السجـــن

www.anwarsadat.org

بعد هذا الخط

الفكرى المصرى

الصميم الذى

www.anwarsadat.org

قدمته لشعبى من

خلال الفصول

المتتابعة التى

تكون منها هذا

www.anwarsadat.org

الكتاب أحب أن أختمه ببعض المختارات من كراسة السجن

www.anwarsadat.org

التى مازلت

احتفظ بها حتى

الآن منذ ثلاثين

عاما.. فهذه

www.anwarsadat.org

المختارات هى فى

الحقيقة أصداء لما

كان يزخر به

قلبى وعقلى من

www.anwarsadat.org

قيم إنسانية عليا

فى ذلك الوقت

المبكر من

حياتى.. ولذلك

www.anwarsadat.org

أصبحت على التو

ومازالت إلى الآن

جزءا لا يتجزأ

من وجدانى

www.anwarsalat.org

وسلوكى

وفكرى.. فهى

بذلك ثمرة

تجاربى وتجارب

www.anwarsadat.org

من سبقونى إلى الحياة بعد أن استوعبها عقلى

www.anwarsalat.org

فاحتواها

واحتوته .

إنها مجرد علامات على الطريق ولذلك رأيت أن أقدمها إلى أبنائى وأصدقائى علهم يسترشدون بها فى مسيرتهم أو على الأقل يجعلون مما يروق لهم منها موضوع لحوار بناء من أجل مصر الغد .

www.anwarsadat.org

بعض المختارات :

- سأغرس فى نفسى الأيمان النافع، فأومن بأن الله يريد الخير للعـالم، وأومن بالحب والشرف والوفاء وبكل ما يجعل الحياة قوية سليمة.
- فى العالم دربان من النجاح أحدهما وهو الأهم النجاح الداخلى الذى يقوله ضميرى لى.. والآخر هو النجاح الخارجى الذى يراه النـاس.. وأولهما هو الاحرى بالتحقيق .
- لست أعترف بسلطة على عقلى ولذلك سأجعل عقلى حرا طليقا من الأغراض والشهوات.. وكذلك لن أتبع رأى أحد حتى يقره عقلى.
- تبتدئ حياة الأم العظيمة من بدء إعلان استقلالها.. وكذلك يبدأ الفـرد حياته الشريفة من يوم أن يعلن استقلال نفسه.
- أومن بالحياة بعد الموت وبأن حياتنا على الأرض جزء من حياة طويلة سنحياها بعد ذلك وأعتقد أن الأيمان يرفع الحياة ويشرفها.
- ضع الآخرين دائماً فى اعتبارك، وأنظر إليهم فى حب وتـساع، فـإنهم سيرفى ون إليك نفس الأحاسيس ذات يوم.
- لا تحاول عبور القنطرة قبل أن تصل إليها.
- كن حكيما فى اختيارك لأصدقائك واحرص على الصداقات الأصـيلة ولا تفـرط فيهـا أبـدا، فهى من أعظم المعانى التى تمنح

لحياتك مذاقا وقيمة، وتضيف إليها كيانا جديدا.. و!كـــن عنـــدما نفقـــد الأصدقاء فإننا نفقد أجزاء عزيزة على نفوسنا.

- لا تترك الغضب يمسك بمقاليد الأمور ف! حياتك.. فربما غيرت رأيـــك تماماً عندما تحاول فهم وجهة نظر الآخرين بموضوعية حكيمة.
- إن التسامح هو الزيت الذى يمنع آلة الحياة من التوقف والانفجـــار، والتسامح ليس من صفات الضعف والاستكانة،
- لأنه قيمة كبيرة لا يقدر على ممارستها سوى الأقوياء.
- أحذر التخلى عن شخصيتك المتفردة واستقلالك الذاتى، فان السير فى موكب الآخرين لن يصل بك إلـــى الهـــدف الـــذى يناســـب قـــدراتك ومواهبك.
- من أقوال الحكيم المصرى أمنحتب :

1ــ قل الحق دائماً ولا تسمع أبدا إلا كلمة الحق لأن الحق حصن منيع يحميك ويحمى من يستمع إليك .

2 ــ لا تسرق الفقير لأنه فقير، ولا تقهر الضعيف لأنه ضعيف، ولا تـــصاحب الرجل الجشع ولا تخالط الرجل الحاقد وإلا أصـــبحت روحـــك أســـيرة الجشع والحقد مثلهما .

3 ــ اعمل دائماً ولكن لا تجعل جمع المال والثروة الهدف مـــن عملـــك، لأن الثروة تزول أما العمل فيبقى.

226وصى

- افتح قلبك دائماً للحب، ولا تصم أذنك أبدا عن المعرفة، لأنـــه بالحـــب والمعرفة تصبح أقوى الأقوياء .
- إن التقدم مستحيل بلا تغيير والذين لا يغيرون أفكـــارهم لا يـــستطعون تغيير أى شىء آخر.

- **يجب ألا تضع آمالا كبارا فى نفوس صغيرة .**
- **أن رجلا شجاعا واحدا أكثرية .**
- **أن انكسار الذات هو أحمى دروب التدين (غاندى) .**
- **أن تحب وأن تحب لهى أعظم نعمة فى الوجود (مثل ألمانى)**
- **أن قيمة الإنسان لا تقاس بضخامة ممتلكماته، ولكن بضآلة احتياجاته.**
- **لا شىء يمنح الإنسان القوة سوى ممارسة الكفاح.. ولعل أصعب أنواع الكفاح هو كفاح الخطية والشر.**
- **أن المجتمع الذى تهدر فيه إنسانية فرد من ملايينه.. مجتمع ظالم غير جدير بالبقاء .**

www.anwarsadat.org

فهرس الكتاب

الفصل الأول:

- **لماذا كتبت هذا الكتاب** **5**

الفصل الثانى:

- **من أجل مصر** **23**

الفصل الثالث:

- **الأيمان.. بر الأمان.....** **43**

الفصل الرابع:

- **الحب.. أروع نعم الله...** **61**

الفصل الخامس:

- **الروح والعقل والجسم** **89**

الفصل السادس:

- **لو كان الخوف رجلا..** **117**

الفصل السابع:

- **مصر فوق كل شىء** **145**

الفصل الثامن:

- **معنى النجاح الداخلى** **171**

الفصل التاسع:

- **الانفتاح عمالة وإنتاج** **193**

الفصل العاشر:

- **كراسة السجن....** **221**

www.anwarsadat.org